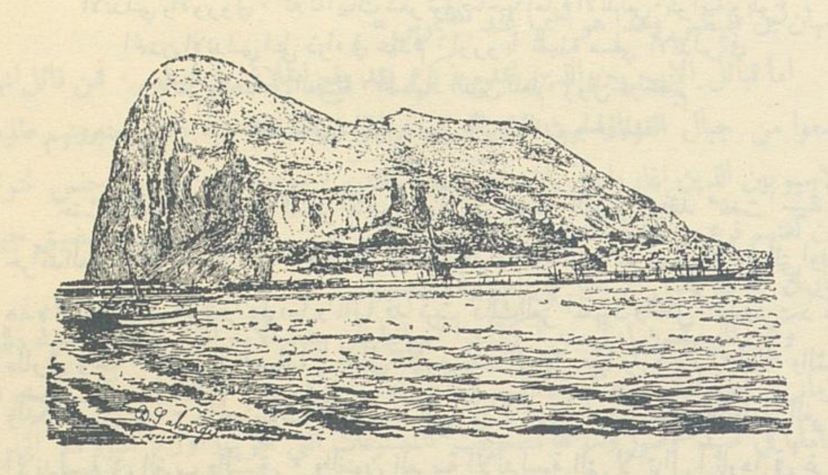


(الجزء الاول) (السنة الثالثة)

مجلة علمية تهذيبية تاريخية صحية

(الاسكندرية — اغسطس (آب) سنة ١٩٠١ — ربيع الثاني ١٣١٩)



جبل طارق

(حديث حديث يذكر بالحديث القديم)

(واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر)

مشاهير المتقدمين والمتاخرين

(في كل جزء شهير وشهيرة)

مجد الاسلام القديم

﴿ تاريخ الاندلس من اوله الى آخره ﴾

(ومشاهير رجال الاسلام الذين عاشوا في ذلك العصر)

﴿ سلطان مراكش الحالي ﴾

حنين الى مجد قديم · العناصر التي تالفت منها اسبانيا قبل المسلمين · اوروبا تلميذة الفينيقيين · غزوة الاندلس على يد طريف وطارق وموسى بن نصير وافتتاحها · معاملة العرب للمغلوبين · العزم على فتح اوروبا والعودة الى الشام عن طريق البحر الاسود · الواقعة الفاصلة بين التمدن الاندلسي والاوروبي · ثلاثة ابيات شعر تولي صاحبها امارة الاندلس · بنو امية وبلوغ التمدن الاندلسي اعلى ذراه في عهدهم · اوروبا تلميذة مسلمي الاندلس في العلم والصناعة والفلسفة · اضطهاد الدين للعلم · زوال عز عظيم · سلطنة المغرب اليوم · جبل طارق القديم والحديث

حنت اللغة العربية في الشهر الماضي شوقاً الى مجدها القديم · فقد سمعت في كل جرائد العالم ذكر "طارق" و " جبل طارق" واسبانيا و " سلطنة المغرب " والوفود التي اوفدتها هذه السلطنة الى انكلترا وفرنسا والمانيا فذكرت ذلك العز المعهود والظل الممدود · ذكرت طارق وفتحه الاندلس (اسبانيا) وليالي الامير عبد الرحمن فيها وازدحام العلماء والشعراء والكتاب في بابه · والمصنوعات الاندلسية التي كانت تتوزع من المصانع والمعامل العربية الاندلسية في الغرب والشرق · والفنون العربية الاندلسية التي لا تزال آثارها في غرناطه واشبيلية وطليطلة الى هذه الايام · ووصول خيول العرب والمغاربة الى مدينة ليون (فرنسا) فاتحة غازية · وبلوغ امراء الاندلس من الجاه والسطوة مبلغاً صاروا معه يعيدون ملوك الافرنج الى عروشهم اذا انزلتهم رعيتهم عنها وصارت دول الارض تترضاهم وتوفد الوفود اليهم

كل ذلك ذكرته اللغة العربية في الشهر الماضي فحق لها ان تنشد قول الشاعر

واني لتعروني لذكراكِ هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

وفي الحقيقة انها ذكرى تسرُّ وتُنسي المتأمل شيئًا كثيرًا من احزان الحالة الحاضرة. وسنقلّب في هذه المقالة صفحات ذلك الزمن المجيد ملخصين تاريخ فتح الاندلس وذاكرين طرفًا من التمدن العربي الذي بلغ فيهـا مبلغًا لم يبلغه التمدن الافرنجي الى ذلك الحين ثم نتطرق الى ذكر طارق وجبله القديم والحديث وبلاد المغرب وما كان بينهـا و بين امراء الاندلس و بغداد اتمامًا للفائدة فنقول وعلى الله الاتكال

﴿ اسبانيا قبل الفتح الاسلامي ﴾ لاسبانيـا في التاريخ خمسة ادوار وقد صارت بالحرب الاميركية الاخيرة ستة . اما دورها الاول فهو الدور القديم الذي كانت فيـه قبائل متفرقة . وقد كان يسكنها على الارجح قوم يسمونهم " الايبيريين " ومن ذلك اشتق اسم اسبانيا فانه كان من قبل " هباريا " ثم صار اسبانيا ومعنى هباريا " بلاد الغربيين " اما مؤرخو العرب وفيهم ابن الاثير فانهم يقولون " ان النصارى يسمون الاندلس اشبانيه باسم رجل صُلب فيها يُقال له اشبانس وقيل باسم ملك كان بها في الزمن الاول اسمه اشبان بن طيطس وهذا هو اسمها عند بطليموس "

اما قبائل الايبيريين الذين تقدم ذكرهم فقد وقع الخلاف في اصلهم . فمن قائل انهم قدموا من جبال القوقاز حيث لا يزال لهم اثر فيها وبناء عليه فانهم يعتبرونهم طليعة الاسيويين الذين اغاروا على بلاد اوربا منذ القديم . ومن قائل انهم من جنس تتوني وان لغتهم فرع من اللغة التتونية . وغيرهم يزعم انهم من جنس افريقي عبر مضيق جبل طارق الذي يفصل افريقيا عن اسبانيا واقام فيها

وكان الفينيقيون اول من اكتشفوا اسبانيا فان هذه الامة التجارية كانت في ذلك الزمان تصنع ما تصنعه اوربا اليوم فكأنّ اوربا تلميذة لها . وذلك انها كانت تصنع في معاملها في صيدا وصور وسواها مصنوعات كالمصنوعات التي تتجر بها اوربا اليوم مع الزنوج

﴿ الجامعة ﴾ اعتمدنا في كتابة هذا التاريخ العظيم الفائدة والجليل الشأن على مصادر مختلفة اهمها الكتب الآتية : تاريخ ابن الاثير وتاريخ ابن خلدون وتاريخ ابي الفداء وتاريخ الاندلس للمؤرخ باولوسكي وتاريخ غرناطة وقرطبة للمسيوكات وغيرها . ونحن واثقون بان القراء سيطالعونه بلذة وسرور ينسياننا شيئًا من التعب الذي عانيناه في المراجعة والمقابلة والتنقيب . وحسبنا ذلك

والقبائل مثل الآنية الزجاجية الملونة والانسجة المصبوغة واشياء كثيرة لزينة الرجال والنساء ثم انها تحمل هذه السلع التافهة وتطوف بها الارض المعمورة لتقايض عليها بحاصلات نفيسة . وقد وصلت السفن الفينيقية الى اسبانيا في القرن الرابع عشر او الخامس عشر قبل الميلاد المسيحي اي منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة عام فاحسن الفينيقيون معاملة اهلها خلافاً لما صنعه الاسبانيون في اميركا حين اكتشافهم اياها وعرضوا لهم سلعهم فسرَّت قبائل الايبيريين بها وقايضتهم عليها بما كان لديهم من زيت الزيتون والخمر والصوف والمعادن الذهبية والفضية التي لم يكن الاسبانيون يعرفون لها قيمة . وقد قال سترابون « ان ما وجد في ارض اسبانيا من الذهب والفضة والنحاس والحديد لم يوجد له مثيل في جودته وكثرته في جميع اقطار العالم » . فمن هناك كان الفينيقيون يعودون بالخيرات الكثيرة

وقد بنى الفينيقيون على شواطىء اسبانيا وافريقيا كثيراً من المراكز التجارية فصارت بعد ذلك مدناً عامرة . منها في اسبانيا « قادر » او قادس وهي قادش كما يسميها العرب ومالقه وقرطبه ومعناها (بلاد الزيتون) لكثرة ما كان منه فيها . وكانت هذه المدن الثلاث اهم مراكزهم التجارية . وكان السكان على اتفاق تام مع ضيوفهم اذ لم يكن لهؤلاء الضيوف سوى اغراض تجارية خلافاً للمستعمرين في هذا الزمان الذين يسعون في استعمارهم الى التهام البلاد وثروتها معاً . اما الفينيقيون فانهم كانوا لحكمتهم يكتفون بالثروة ويتركون البلاد لاهلها

وكان اليونان يزاحمون الفينيقيين في التجارة في ذلك الزمان فلم يلبثوا ان تبعوهم الى اسبانيا فترك لهم الفينيقيون شاطىء اسبانيا الشرقي فانشأ فيه الرودوسيون مدينة « روزا » وذلك في القرن الحادي عشر قبل الميلاد المسيحي ثم جاء الفوسيون وهم من يونان (ايونيا) في اسيا الصغرى فبنوا مدينة امبورياس ومعناها (السوق) واقاموا في (دنيا) هيكلاً للالاهة ديانا حامية افسس . فكان ذلك اول شعاع من اشعة التمدن التي دخلت الى اسبانيا

ثم سقطت فينيقية تحت ضربات نبوخذ نصر الفاتح الاشوري الذي خرب صور ملكة التجارة والبحار في تلك الايام فاصبحت جميع المدن التي انشأها الفينيقيون خارج بلادهم هدفاً لطمع الطامعين . فاغار قبائل التورديتانيين في اسبانيا على مدينة قادش الفينيقية فاستنجدت قادش بقرطجنة ابنة فينيقية واحدى مستعمراتها لان الفينيقيين هم الذين عمروا قرطجنة كما لا يخفى . فاحتلت قرطجنة محل الفينيقيين بعد سقوطهم فوالت الاسبانيين

وحالفتهم وقد كانت تتخذ منهم جنوداً لمحاربة الرومانيين . ولولاهم لما استطاعت الثبات امام رومه وقتاً طويلاً

فلما راى السناتو الروماني هذا الخطر تلافاه بان ارسل قواده يوالون الاسبانيين ويحالفونهم فتردد الاسبانيون في بدء الامر ولكن بعضهم عاد فحالفهم فتمكن الرومانيون حينئذٍ من اسقاط قرطجنة فاصبحت اسبانيا بلاداً رومانية

وكان قد دخل الى اسبانيا قبائل جديدة من السلتيين فانضمت الى الايبيريين وامتزجت بهم امتزاج الماء بالراح فصارت اسبانيا مؤلفة من عنصرين

ثم كانت غزوة برابرة الشمال للرومانيين في عام ٤٠٦ للميلاد المسيحي وهم بين جرمان وسلاف وتتر فطاف منهم فريق كبير في غاليا (فرنسا) وايطاليا حتى بلغوا جبال البيرينه التي على تخوم اسبانيا فدخلوا اليها في عام ٤٠٩ وامعنوا فيها سلباً وقتلاً وحرقاً . وقد قال ابن الاثير في كلامه عن فتح الاندلس « ثم دخلت عليهم (الاسبانيين) امة القوط (يعني الغوثيين امة الغوث) مع ملك لهم فغلبوا على الاندلس (يعني اسبانيا) فاقتطعوها من يومئذٍ عن صاحب رومه وكان ابتداء ظهورهم من ناحية ايطاليا شرق الاندلس » فصارت اسبانيا مؤلفة من اربعة عناصر : الايبيريين والسلتيين وبرابرة الشمال والغوثيين . هذا فضلاً عن العنصر الفينيقي والعنصر القرطجني اللذين هما في الحقيقة واحد وان كانا اثنين . ولذلك قلنا في صدر الكلام ان لتاريخ اسبانيا خمسة ادوار : الاول دور الفينيقيين . والثاني دور الرومانيين . والثالث دور الغوثيين . والرابع دور المسلمين الذي قد بلغناه الآن

٢

﴿ ابتداء الفتح الاسلامي فيها ﴾ وقد اختلف المؤرخون في سبب هذا الفتح . فمن قائل ان الفتح الاسلامي كان عقاباً الهياً للغوثيين وملوكهم على افسادهم في البلاد وظلمهم للعباد . ومن قائل ان الفتح الاسلامي لاسبانيا كان نتيجة لازمة لاستيلاء المسلمين على افريقيا لانَّ النزاع استمرَّ شديداً بين كل القبائل التي عاشت على مرور الزمان فوق الشاطئ الافريقي والشاطئ الاوروبي من مضيق جبل طارق . ومن قائل ان احد امراء الغوثيين هو الذي استدعى العرب الى الاندلس انتقاماً من ملك الاسبان لانه اهان ابنته . ولعل هذا القول هو القول الراجح . قال ابن الاثير بهذا الشأن : وكانت عادة امراء الاسبان انهم يبعثون اولادهم الذكور والاناث الى مدينة طليطلة ليكونوا في خدمة الملك ويتأدبوا بذلك فاذا بلغوا الحكم ازوج بعضهم بعضاً وتولى تجهيزهم . فلما ولي رذريق (يعني الامبراطور

رودريك) ارسل اليه يوليان (يعني الكونت جوليين امير سوتة وهي سبتة) ابنة له فاستحسنها رودريك " واعتدى عليها " فكتبت الى ابيها فاغضبه ذلك . وكانت افريقيا يومئذٍ في قبضة المسلمين والوالي عليها من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك هو موسى بن نصير وكرسيه في القيروان عاصمة افريقيا يومئذٍ . فكتب اليه يوليان يجامله و يستدعيه اليه فسار اليه فوصف له يوليان الاندلس وزين له غزوتها فكتب موسى الى الوليد يبلغه ذلك فاجابه الوليد "خضها بالسرايا ولا تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال " . فكتب اليه موسى عن مضيق جبل طارق « انه ليس ببحر متسع انما هو خليج يبين ما وراءه » فكتب اليه الوليد « ان اختبرها بالسرايا اذا كان الامر ما حكيت » فبعث رجلاً من مواليه يقال له « طريف » في اربعمائة رجل ومعهم مائة فرس فعبر طريف المضيق في اربع سفائن ونزل في جزيرة الاندلس (١) فسميت جزيرة « طريف » لنزوله فيها . ولا يزال هذا الاسم اسم مدينة هناك الى هذه الايام ومن الكتاب من يعربها تاريف او تعريف لذهاب اصلها عنه .

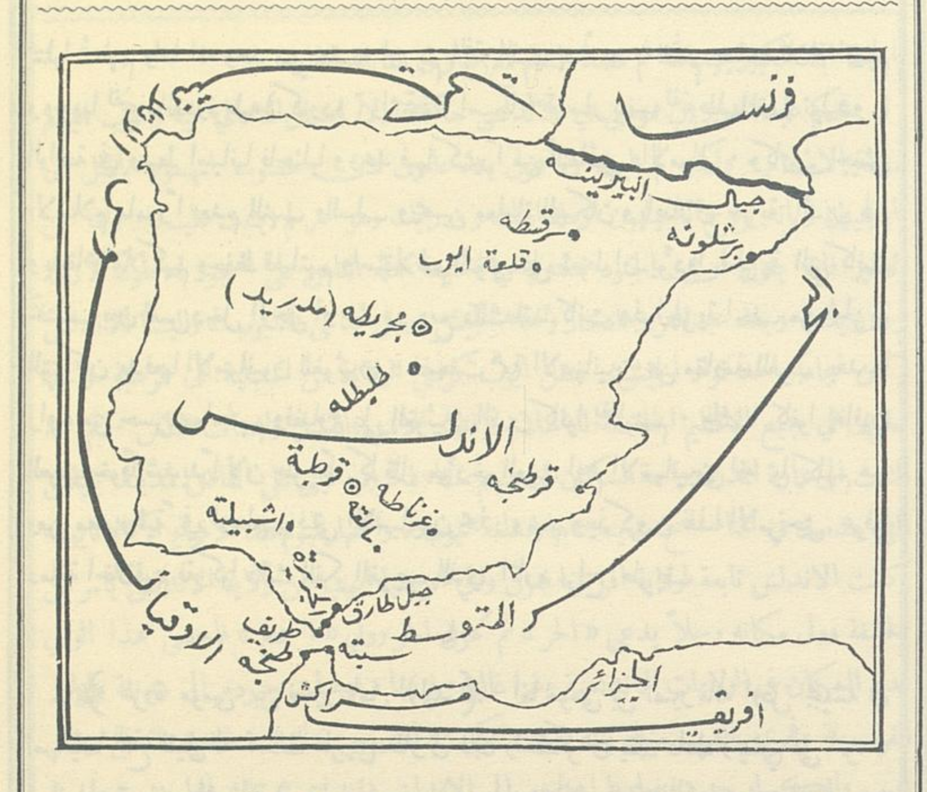
٣

﴿ طارق وغزوته ﴾ ثم اغار طريف على الجزيرة الخضراء فاصاب غنيمة ورجع سالمًا في رمضان سنة احدى وتسعين . فلما راى الناس ذلك تسرعوا الى الغزو طلبًا للغنيمة . فدعا موسى والي افريقيا عاملاً له او مولى له كان قائد جيوشه يقال له « طارق بن زياد » وبعثه لغزوة الاندلس في سبعة الاف من المسلمين اكثرهم من البربر والموالي واقلهم من العرب . فساروا في البحر حتى انتهوا الى جبل شانخ على الشاطىء الاسباني فنزلوا فيه فسمي " بجبل طارق " الى هذه الايام

ثم زحف طارق من الجبل مع جيشه فطرد امامه الاسبانيين الذين وجدهم في طريقه وكانوا بقيادة تودمير وبعد ذلك قسم جيشه سرايا سرايا فسارت تقذف الرعب والخوف في قلوب السكان . فلما بلغ الامر الى الملك رودريك جمع من الغوث والاسبانيين الرومانيين مائة الف رجل في رواية ابن الاثير وقصد بها طارق . فاسرع طارق الى لم شمل السرايا التي فرقها وكتب الى رئيسه موسى ابن نصير يستنجده على الاعداء فامده موسى بخمسة الاف رجل فبلغ بهم الجيش العربي في اسبانيا ١٢ الف مقاتل . فلقي طارق بهذا

---

(١) والصواب انها شبه جزيرة او بجيجزيرة كما يقول العرب . و يسمي كتاب العرب اسبانيا بلاد الاندلس من قبيل تسمية الكل بجزء منه لان الاندلس اقليم من اقاليم اسبانيا



﴿لمحة من خريطة اسبانيا ومضيق جبل طارق﴾

الجيش جيش رودريك على ضفة نهر «كادالت» الذي يسميه العرب «لكه» وذلك قرب مدينة كسيرس التي يسمونها «شذونه» وكان الكونت جوليين في جيش العرب على ما يُقال يدلهم على عورة البلاد ويتجسس لهم الاخبار وكان في الجيش العربي أيضاً كثيرون من اليهود والمسيحيين الساخطين على الملك رودريك ورجال بلاطه · فاستمرّ القتال على ما يُقال ثلاثة ايام وانتهى بانتصار العرب ومقتل الملك رودريك من يد طارق ومنهم من قال انه لم يُقتل ولكنـه ارتد بقسم من جيشه المكسور الى جبال غاليسيا · فاخذ طارق يطارد الهاربين ويُخضع البلاد بسرعة غريبة · وكانت هذه اشد معارك الفتح مع الاسبانيين

ولما سمع موسى بن نصير بما اوتي عامله طارق من الفتح العظيم حسده فجمع جيشاً كثيفاً من اهل الشام الذين كانوا معه ودخل الى الاندلس ليتمّ الفتح بنفسه وامر طارقاً بالكف عن القتال · فلم يكف طارق اما لانه رأى من الحكمة ان لا يُمهل الاسبانيين

فيلموا شملهم واما انه وجد من حقه ان يتم الفتح الذي بدأ به . فقسم جيشه ثلاثة اقسام ووجهها لفتح مالقه وقرطبه (كوردو) واستجه (اسيجا) ثم سار بنفسه لفتح طليطلة (توليدو) الواقعة في وسط اسبانيا فاحتلها ووجد فيها كثيرًا من النفائس والاموال . وكان جيش الاسلام مامورًا بعدم النهب والسلب وبحسن معاملة السكان وباطلاق حرية الدين لهم وبابقاء املاكهم وحفظ قضاتهم واستقلالهم النوعي على شرط ان يؤدوا الجزية التي كانت تختلف بين خمس دخل الرجل او عشره . ومع ذلك فقد كانت هذ الجزية اخف من الجزية التي كان يدفعها الاسبانيون للغوثيين . فضعفت همة الاسبانيين عن مقاومة العرب بعد ما راوه من حسن معاملتهم وفضلوهم على الغوثيين الذين كانوا يظلمونهم . وانما كانوا يخافون العرب خوفًا شديدًا لان طريفًا كما قال مؤرخو العرب اوهم الاسبانيين انه يا كلهم هو ومن معه رغبةً في ارهابهم فبقي الاسبانيون يحذرونهم ويذكرون هذا الامر حتى عرفوا دماثة اخلاقهم فتركوا ذلك الفكر الغريب الذي اثاره مزاح طريف

٤

﴿ غزوة موسى بن نصير عامل الوليد ﴾ اما موسى بن نصير فانه اوغل بجيشه في اسبانيا للفتح فقيل له تسلك طريق طارق فابى واستنكر ان يقلد عامله ويمشي على اثره . فسار الى قرمونه واشبيلية (سيفيل) وغيرها من المدن الاسبانية فافتتحها . ووصلته في ١١ يوليو من ذلك العام (٧١٢ للميلاد) نجدات عظيمة من افريقيا . وكان همَّ موسى عامله طارق الذي عصي امره . قال ابن الاثير « وسار موسى من مدينة مارده في شوال يريد طليطلة فخرج طارق اليه فلقيه فلما ابصره نزل اليه فضربه موسى بالسوط على رأسه ووبخه على ما كان من خلافه ثم سار به الى مدينة طليطلة فطلب منه ما غنم » ثم ان موسى وابنه عبد العزيز وطارقًا عامله الذي عزله ثم ولاه القيادة ساروا كل واحد في جهة واخذوا يفتحون المدن ويخضعون السكان فلم يأتِ عليهم عام في اسبانيا حتى دوخوا البلاد من جبل طارق الى تخوم جبال البيرينه

وكان موسى بن نصير تحدثه نفسه بامر عظيم . فانه كان ينوي النزول من البيرينه الى غاليا « فرنسا » ومنها يفتح اوربا كلها ويعود الى الوليد في الشام عن طريق البحر الاسود . ولكن الوليد لم يمهله فاستدعاه اليه في عام ٧١٣ للميلاد مع طارق مولاه الذي اصبح مناظرًا له . فاستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز ثم عبر البحر الى سبته « مقابل جبل طارق وتُدعى اليوم سوته » فاستخلف عليها وعلى طنجة ابنه عبد الملك واستخلف على افريقيا

واعمالها ابنه الكبير عبدالله ثم قصد الشام مع طارق لمقابلة الخليفة

فحكم عبد العزيز بن موسى في الاندلس حكماً عادلاً استمال الاهالي اليه وحبب اليهم سلطة الاسلام . ولكنه لم يلبث ان عُزل بعد عامين لان خصومه اتهموه بالميل الى المسيحيين وبانه تزوج باجيليون ارملة الملك رودريك وهو امر لم يثبت عليه . واما ابن الاثير فانه يقول ان الجنود قتلته بامر الخليفة لحمله الناس على السجود له طوعاً لارملة رودريك . وبعد عبدالعزيز نادى رؤساء الجيش برجل يدعى « ايوب » والياً للاندلس وكان شجاعاً واحد قواد الجيش . فنقل ايوب كرسي الولاية من اشبيلية الى قرطبة واخذ يطوف في جميع الاقاليم الخاضعة للاسلام لافتقاد الامن والعدل وانصاف الناس . ثم انه التفت الى عمارة المدن وراحة السكان لينسيهم شقاء الحروب فبنى على انقاض مدينة بلبلس التي هدمت في اثناء الفتح مدينة سماها « قلعة ايوب » واسمها اليوم عند الافرنج " كالاتايود " وكانت الاندلس تابعة لولاية افريقيا فعزل والي افريقيا ايوب عن ولاية الاندلس بامر من الخليفة وولى مكانه رجلاً يدعى « الحر » ثم عُزل الحر وولي « السمح » فاحصى هذا الوالي عدد السكان في الولايات الاندلسية وغزا غاليا " فرنسا " فوصلت جنوده الى مدينة طولوز الفرنسوية فجرى بالقرب منها بينه وبين الكونت اوديوس قتال شديد انتهى بقتل ايوب وانكسار جنوده فعادوا ادراجهم الى الاندلس وقد سميت تلك الطريق " طريق الشهداء " لكثرة ما قتل من العرب فيها . وكان بين القواد الذين عادوا من واقعة تولوز قائد يُدعى عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي فنادى به الجيش والياً للاندلس ثم خلفه عنبسة بن شحيم الكلبي فاقام عبد الرحمن تحت زعامته وكان عنبسة قرماً عنيداً فطلب الغاليين " الفرنسويين " ليثأر منهم للذين قُتلوا في واقعة تولوز ففتح مدينتي قرقسونه وليون (١) ثم خرب شاطىء نهر الرون ونهر السون ونهب مدينة اوتين وعاد بكثير من الغنائم والاسلاب . ولكنه بينما كان عائداً من غزوته تكاثر عليه الغاليون فقتلوه قرب مدينة نربون . فخلفه عزره بن عبدالله ثم يحيى بن سلامه ثم حذيفة القيسي وغيرهم ممن لا همة لهم فلم يفعلوا فعلاً يُذكر فاعيد الى الولاية عبد الرحمن بن عبدالله الغافقي

---

(١) تولوز المذكورة آنفاً مدينة فرنسوية على مسافة ٧٥١ كيلومتراً من باريز وعدد سكانها اليوم ١٥٠ الف نفس وليون مدينة فرنسوية مشهورة وهي على مسافة ٥١٢ كيلومتراً من باريز وعدد سكانها اليوم ٤٥٠ الف نسمة . فمما تقدم يظهر ان العرب وصلوا في غزواتهم الى قلب فرنسا تقريباً

٥

﴿ الواقعة الفاصلة بين التمدن الاسلامي والتمدن الاوروبي ﴾ ومن الغريب ان كثيرين من مؤرخي العرب وفي جملتهم ابن الاثير اكتفوا فيما ذكروه عن عبد الرحمن بقولهم "فخرج عبد الرحمن غازياً بلاد الافرنج (١) فقتل هو ومن معه شهداء" مع ان المعركة التي قُتل عبد الرحمن في اثنائها من اعظم المعارك وعليها كانت تتوقف سيادة العنصر العربي او العنصر الاوروبي في العالم ولذلك نذكرها بشيء من التفصيل وان كان المجال ضيقاً فنقول

لما ولي عبد الرحمن امارة الاندلس للمرة الثانية اخذ ينظم حملة قوية لغزوة الفرنك بها. وقد نادى بالجهاد في سبيل الله فتقاطر عليه الناس من سوريا ومصر وافريقيا قياماً بحق الجهاد . فاجتاز بهم عبد الرحمن جبال البيرينه وانقض على بلاد الفرنك كالصاعقة ففتح مدينة بوردو واخرب جميع امارة غسكونيا وكسر الكونت اوديوس الذي تقدم ذكره وهاجم مدينة بواتيه فاحرق احد احيائها . وكانت ضرباته شديدة سريعة فاسرع اليه شارل مارتل بقبائل الجرمانيين لرد غاراته عن البلاد فالتقى به في سهول قرب مدينة بواتيه فحدث هناك بين الجيشين قتال لم يحدث اشد منه . وقد كانت القبائل الجرمانية تلبس الحديد اتقاء للسلاح وقبائل العرب مكشوفة على خيولها الخفيفة والمغاربة نصف اجسامهم عارية فكان لهذا الخليط في ساحة القتال منظر غريب . وقد دام القتال فيما يقال يومين كاملين لان كل فريق منهما كان يعتبر هذه الواقعة حدًا فاصلاً . غير انه كان في جيش العرب شيء لا يحصى من الغنائم والنفائس التي جمعها في غزوته وكان زعيمه عبد الرحمن قد مات في القتال موت الابطال فرأى الجيش من الحكمة ان يعود ادراجه لتولية زعيم مكانه وخوفاً من فقد النفائس التي في يده . فاقتلع اطنابه تحت جنح الليل وعاد الى الاندلس . ولو قدر عرب الاندلس على قهر اعدائهم في هذه الواقعة لفتحوا اوربا كلها وقتلوا التمدن الاوربي كما يُقتل الطفل في مهده . وكانت هذه الواقعة المشهورة في شهر اكتوبر من عام ٧٣٢ للميلاد المسيحي اي منذ ١١٦٩ عاماً . فيكون الجرمانيون والفرنك قد انقذوا اوربا من الهلاك

---

(١) تطلق اليوم لفظة « افرنجي » على جميع اهل الغرب من اوربا واميركا . ولكن لم يُقصد بها في الاصل سوى « الفرنك » وهم الغاليون الفرنسويون الذين وقفوا في وجهه العرب بعد فتحهم الاندلس

٦

﴿ تعاقب الولاة ﴾ ثم ولي الاندلس عبد الملك بن قطن وخلفه عقبه بن الحجاج السلولي وقد حاول كلاهما الاخذ بالثأر من الافرنج فعجزوا عن ذلك · وكان الامل قد عاد الى الاسبانيين فهاجموا العرب من الجبال وكسروهم عدة مرات · فاخذ عقبه يستعد لغزوة بلاد الفرنك غزوة كبرى واذا بامر ورده من والي افريقية وهو العامل الكبير عليها وعلى الاندلس بعبور البحر الى افريقيـة لاخماد ثورة الخارجين من المغاربه والبربر · وكانت هذه الثورة شديدة فعبر عقبه البحر اليهم وكسرهم شر كسرة · فاغتنم شارل مارتل هذه الفرصة وحصر المراكز العربية مما يلي جبال البيرينه خارج اسبانيا وهي نربون ومغلون واجده وبزبير ففتحهـا · ثم اعيد منصب الولاية الى عبد الملك بن قطن بعد ان حكم عقبه الاندلس حكماً عادلاً · فحدث في افريقية في عهده قتال شديد بين العرب والبربر فاضطر عشرون الفاً من العرب الى عبور البحر الى الاندلس ولما وصلوا اليها قتلوا عبد الملك لانه لم ينجدهم على اعدائهم وولوا على الاندلس احد قوادهم واسمه بلج فانكر هذه الولاية قائد ثانٍ لهم وخرج على الوالي وكذلك صنع المغاربة والبربر المقيمون في الاندلس فثارت بين الجميع حروب اهليـة شديدة انتهت بمقتل بلج وولاية عبد الرحمن بن خطار الذي قتله بيده ولذلك تلقب (المنصور) فاخذ الوالي الجديد في الضرب على ايدي البربر الخارجين على والي افريقية تأييداً لسلطنته

ثم ولي الاندلس ابو الخطار حسام بن ضرار الكلبي · وسبب توليته ثلاثة ابيات من الشعر قالها فاعجب بها هشام بن عبد الملك فامر حنظلة بن صفوان الكلبي عامله في افريقية ان يوليه الاندلس · اما الابيات فهذا نصها

افادت بنو مروان قيساً دماءنا	وفي الله ان لم يعدلوا حَكم عدلُ
كانكم لم تشهدوا مرج راهط	ولم تعلموا من كان ثم له الفضلُ
وقيناكمُ حرَّ القنا بنحورنا	وليس لكم خيلٌ تُعدُّ ولا رجلُ

فالعجب لزمن كان الشعر فيه يولي صاحبه ازمة البلاد ويحكمه في العباد

ولما وصل ابو الخطار الى الاندلس قبض على رؤساء الخوارج ثم امر باحصاء السكان واعطاء القبائل الرحل اراضي يحرثونها ويزرعونها وذلك لاغرائهم بالاقامة فيها وصرف خواطرهم عن التقاطع والتنازع فيما بينهم لان اهل الشام كانوا قد عزموا على مغادرة الاندلس والعودة الى اوطانهم · ولكن لم يلبث ان خرج عليه ثوابة بن سلمه الحداني احد عمال الاندلس الناقمين فحدث بين الفريقين قتال انتهى بهرب ابي الخطار وولاية ثوابة · فحكم ثوابة سنتين

حكماً سيئاً ثم توفي فعاد اهل الاندلس الى الاختلاف على الولاية وكان كلٌّ من الحضر بين واليمنيين يطلب ان تكون الولاية فيه ولكنهم عادوا فاتفقوا على ان يكون والي الاندلس قرشياً فولي يوسف بن عبد الرحمن الفهري

وكان هذا الرجل عظيم القدر واسع الاطلاع محباً للعدل والانصاف فاصلح احوال الاندلس اصلاحاً يُذكر فانه قسمها الى خمسة اقاليم : الاول اقليم الاندلس ويسميه الافرنج « اندالوس » والثاني اقليم طليطلة ويسميه الافرنج اليوم « اقليم قرطجنه » والثالث مارده ويسمونه اليوم « لوزيتانياوغاليسيا » والرابع سرقسطه ويسمونه اليوم « تاراكونيزيا » ثم انه طاف في هذه الاقاليم كلها واخذ ينشيء فيها الجسور " الكباري " ويصلح الطرق ويبني الجوامع والمساجد وما زال على هذه الهمة والسعي المشكور حتى حدثت الفتنة المشهورة بين بني امية وبني العباس في الشام

٧

﴿ دولة الامويين في الاندلس ﴾ ولما سقطت دولة الامويين في بلاد الشام وقامت دولة العباسيين ونقررت الخلافة للسفاح اول خلفائها جعل السفاح يطارد الامويين قتلاً وتشريداً وفي ذلك روايات وحكايات لا محل لذكرها هنا . فكان لتلك الحادثة العظيمة رجع صدى في الاندلس اذ قام العرب والبربر فيها بعضهم على بعض ففريق مع العباسيين وفريق مع الامويين وشبت بينهم نيران حروب اهلية كادت تفضي الى ضعضعة سلطة المسلمين في اسبانيا لولا قدوم عبد الرحمن بن معاوية احد الامراء الامويين اليها فراراً من وجه العباسيين في المشرق . فجمع هذا الامير حول لوائه بعض القبائل الشامية والمصرية والبربر فضلاً عمن كان في صحبته من الاعوان وهاجم يوسف الفهري عامل العباسيين فهزمه ثم قصد قرطبة العاصمة ففتحها ونادى بنفسه اميراً للاندلس ولم يسم نفسه خليفة لانه كان ممن بايعوا خليفة العباسيين في المشرق . ويسمي الافرنج هذا الامير عبد الرحمن الاول لانه اول امراء بني امية في الاندلس ويسميه العرب عبد الرحمن الداخل لانه اول من دخل اليها منهم . وكان ذلك في عام ٧٥٦ للميلاد

ولكن انصار العباسيين في الاندلس اصروا على عدائهم للامير عبد الرحمن واستنجدوا بالفرنك عليه فزحف شارلمان الكبير ملك الفرنك لانجادهم فعبر جبال البيرينه في عام ٧٧٧ وفتح بمبلونه ولكنه اضطر الى النكوص فهزم الفسكونيون مؤخرة جيشه في واقعة رونسفو المشهورة هزيمة شديدة قُتل فيها البطل رولاند وقد بنى كورنيل على هذه الواقعة رواية

« شارلمان » التي نقلها المرحوم اديب بك اسحق الى اللغة العربية

٨

﴿ بلوغ التمدن الاسلامي اعلى ذراه في الاندلس ﴾ ومنذ هذا الحين بدأ في الاندلس عصر جديد . عصر تمدن زاهر وعز مقيم . فان الامير عبد الرحمن اخذ يزين عاصمته احسن زينة غيرة من العباسيين في بغداد فانفق ٨٠ الف دينار على انشاء قصر له وعلى وضع اساسات جامع قرطبة المشهور وقد توفي دون ان يتمها . فخلفه ابنه هشام في عام ٧٨٨ ويسميه الافرنج هشام الاول ثم خلفه الحكم بن هشام في عام ٧٩٦ ويسمونه الحكم الاول ثم خلفه ابنه عبد الرحمن الاوسط في عام ٨٢٢ ويسمونه عبد الرحمن الثاني ثم خلفه ابنه محمد في عام ٨٥٢ ويسمونه محمد الاول ثم خلفه ابنه المنذر في عام ٨٨٦ ثم خلفه اخوه عبد الله في عام ٨٨٨ . ولكن حكم هؤلاء الامراء جميعاً كان في مدة القرن الذي انقضى عليهم مضطرباً جداً لان الافرنج كانوا يهاجمونهم من جانب وانصار العباسيين من جانب . وما زال الحال على هذا المنوال حتى قام عبد الرحمن الثالث . حفيد الامير عبد الله اخي المنذر الذي تقدم ذكره

وكان عمر عبد الرحمن عند قبضه على ازمة الامارة ٢١ عاماً فكان مع صغر سنه شهماً هماماً ورجلاً من خيرة الرجال فاقدم على ما احجم عنه اجداده فتلقب بالخلافة وسمى نفسه امير المؤمنين ثم ضرب النقود باسمه وامر ان يُخطب باسمه في الجوامع ويقال انه منع رعيته من الحج لئلا يصادرهم العباسيون . وبذلك قطع كل صلة بين الاندلس وبغداد . وقد حكم هذا الامير من عام ٩١٢ الى عام ٩٦١ اي ٤٩ عاماً فبلغت اسبانيا في حكمه مبلغاً من التمدن لم تعرفه قبل ذلك العهد ولا عرفته بعده فانه نشر لواء العدل والامن في البلاد واعلى منار العلم حتى جعل الشعراء يقولون في وصف قرطبة

باربعٍ فاقت الامصار قرطبة ... منهنّ قنطرة الوادي وجامعها
هذان ثنتان والزهراء ثالثة ... والعلم اعظم شيءٍ وهو رابعها

فبارك الله في عصر كان ابناؤه يعدون العلم خير ما يُقتنى واعظم ما يجتنى

اما الجامع العظيم الذي ذُكر في هذين البيتين فقد تقدم ذكره واما الزهراء فهي جنة فيحاء بل فردوس ارضي انشأه عبد الرحمن على مسافة ٥ اميال من قرطبة بناء على طلب جارية له تسمى « الزهراء » وكان شديد الشغف بها . وقد بنى الزهراء في بدء بنائها قصراً للاقامة فيه ثم توسع في البناء فبنى بازاء القصر مدينة تحت جبل يسمى جبل العروس وقد

غرسه اشجاراً مثمرة كالتين واللوز · وقد قدر بعضهم انه كان ينفق على بناء هذه المدينة ٣٠٠ الف دينار في كل يوم وقد دام هذا الانفاق ٢٥ عاماً · وقد طلب لها الرخام من اقطار العالم ابيض ومجزعاً وسماقياً وغير ذلك وانشأ فيها حياض المياه مزينة بالتماثيل الرخامية والذهبية وحفر فيها بحيرة وضع فيها الاسماك المختلفة وقد روى بعضهم انه كان يُخبز لهذه الاسماك في كل يوم ١٢ الف خبزة ويُنقع لها في الماء ستة اقفزة من الحمص الاسود

وقد طارت شهرة عبد الرحمن الى اوربا فجاءته الوفود من المانيا واليونان استرضاء له · وبلغت الاندلس في عهده اقصى درجاتها من الحضارة والمجد في العلم والصناعة والتجارة والفنون · اما في العلم فقد بعث عبد الرحمن الى القسطنطينية وكان امبراطورها القيصر رومانوس والى بلاد العرب ومصر وفارس وافريقية وغيرها بأناس لشراء الكتب ونسخها وترجمتها كما صنع الافرنج بالكتب العربية بعد زوال دولة الاندلس · ويقال انه كان في الاندلس ٧٠ مكتبة للمطالعة · اما مدارسها فكانت اشهر من ان تذكر وقد قيل انه كان في قرطبة وحدها ثمانون مدرسة كبرى يُعلم فيها جميع العلوم الدينية واللغوية التي تُعلم الآن في الجامع الازهر الشريف وفوق ذلك الرياضيات بانواعها والتاريخ والجوغرافيا وعلم الفلك والطب والصناعة وما شاكلها · وكانت المدارس العربية الاسلامية كما قال العالم جفراي منتشرة من اقاصي بخارى الى افريقية فالاندلس تنشر في العالم نور المدنية والعرفان فتصلح ما يكون السيف قد افسده · ولم يعرف الافرنج فلسفة ارسطو في القرون الوسطى الا من الكتب التي الفها العرب وترجموها · وكان كل واحد من خاصة الناس وعامتهم في الاندلس يتباهى باقتناء مكتبة ويزينها بالكتب · وقد اقبل الناس من اوربا افواجاً على الاندلس للدراسة في مدارسها منهم الراهب جوبرت الذي ارتقى بعد ذلك الى العرش البابوي باسم البابا سيلفسترس الثاني فانه تلقى العلم في مدارس قرطبة واشبيلية ولما عاد الى بلاده ادهش الناس بالمعارف الجديدة التي نقلها اليهم

واما صنائعهم فاشهرها الفنون الجميلة التي لا يزال آثارها في الاندلس شاهداً للمدنية الاسلامية التي قامت فيها · وقد اشتهرت مالقه بصنع الخزف المذهب اشتهار مدينة سفر الفرنسوية اليوم · وامتازت المرية بصنع الديباج الجميل وآلات الحديد والنحاس والزجاج وكان فيها الف حمام وفندق وكانوا يغرسون التوت في جوارها ويربون دود الحرير · واشتهرت اشبيلية بسعة تجارتها وباغراس الزيتون والتين فيها حتى لقد قيل ان الماشي كان يمشي في ظل هذه الاشجار اربعين ميلاً · واشتهرت اشبونه بالعنبر والمسك وباجه بمعدن

الفضة والدباغة وصناعة الكتان وشنتره بخصب ارضها حتى انه روي ان كل تفاحة من تفاحها كانت استدارتها ثلاثة اشبار والله اعلم . وامتازت شاطبه بصنع الورق وامتاز غيرها بغيره مما يطول ذكره . وكان في جاين ٦٠٠ معمل لصنع الحرير وفي المرية ٦ الاف آلة لنسج الانسجة القطنية والصوفية والكتانية وفي بايزه معامل للسجاد وفي قرطبة ومور يس وطليطلة وسرقسطه معامل للجلد والاسلحة والحلي الثمينة . وكل هذه البضائع كانت تصدر الى اوربا وافريقية وغيرها كما تصدر اليوم المصنوعات من اوربا الى جميع اقطار العالم . فسبحان مغير الاحوال

وكان الاندلسيون عارفين بصناعة استخراج المعادن من الارض فاستخرجوا من بلادهم الذهب والفضة والنحاس والحديد والبلور والياقوت والقصدير وغيرها

ويروي مؤرخو الافرنج انه كان بقرطبة وحدها مائتا الف منزل و ٨٠ الف قصر و ٩٠٠ حمام ومدارس وجوامع لا عدد لها وقد بلغ سكانها مليون نسمة فيما يقال

وقد كان عدد العملة في معامل اشبيلية وحدها مائة الف عامل وقد سماها اهل الشام « حمص » لحنينهم الى هذه المدينة وسائر اوطانهم الشامية وفيها يقول الشاعر

خليليَّ بادر بي الى النهر بكرة ... وقف بيَ حيث المد يثني عنانه

ولا تجز « الارحا » لان وراءها ... يبابا وعيني لا تريد عيانه

واما غرناطه فقد كانوا يسمونها « دمشق الغرب » او « قطعة من الجنة هبطت من السماء » ولا يزال الاسبانيون يقولون في امثالهم عنها « من لم يرَ غرناطه فانه لم يرَ شيئاً » وقد سماها الافرنج « غرينادا » اي « رمانة » لانها مبنية على ثلاثة آكام متراكزة كاجزاء الرمانة اذا فُلقت . وقد حرفها العرب فجعلوها « غرناطة » في جملة ما حرفوه مما لا فائدة من متابعتهم فيه اللهم الا ان يكون الاسم نفسه من موضاعاتهم فيجب الرجوع اليه كقول الافرنج « كالاتيود » وصوابه قلعة ايوب التي مرَّ ذكرها و « ترافلكار » وصوابه طرف الغار وهلم جرًّا

اما العلماء والفلاسفة والكتاب والشعراء الذين نبغوا في ذلك الزمن فحدث عنهم ولا حرج . وربما افردنا لهم مقالة على حدة لاستيفاء الكلام على تراجمهم . واشهرهم كلهم الفيلسوف العربي ابو الوليد محمد بن احمد بن رُشد المالكي القرطبي الذي ترجم مؤلفات ارسطو وكان يقول عنه انه اشهر فلاسفة الارض . وقد كفَّره معاصروه واتهموه بانه يجحد القرآن فنفي من اشبيلية فاستدعاه سلطان المغرب للوقوف على حكمته وفلسفته . ومن

مشاهير الاندلس ايضاً ابو العباس وابن جابر الرياضي الذي ينسب العرب علم الجبر اليه وابن الخطيب وابن جبير وغيرهم كثيرون يستغرب الافرنج كثرتهم ولا يصدقون عددهم . وقد قال مؤرخوهم ان السبب الذي يصح ان يُعدّ من اقوى اسباب سقوط دولة العرب في اسبانيا هو تغلب الفقهاء على العلماء وتكفيرهم كل من خالف اقوالهم كما حدث لابن رشد. وقد حاول فقهاء المسيحيين اي علماء اللاهوت عندهم ان يصنعوا بعلمائهم في اول النهضة العلمية الاوربية ما صنعه فقهاء العرب بعلمائهم فتغلب العلماء عليهم وبذلك انتصر العلم الانتصار الباهر الذي نرى ثماره في هذه الايام

٩

﴿ تدلي التمدن في الاندلس ﴾ وبعد وفاة عبد الرحمن الثالث الذي نلقبه عبد الرحمن الكبير لان التمدن العربي بلغ اشده في الاندلس في ايامه خلفه ابنه الحكم الثاني في عام ٩٦١ وتلقب بالمستنصر فحارب الافرنج وقهرهم على طلب الصلح ثم ارسل عاملاً له الى افريقية ليفتحها وينشر نفوذ الامويين فيها وكان بلاطه غاصاً بالعلماء والشعراء والكتاب. قيل وقد احصيت الاندلس في ايامه فكان عدد مدنها ٨٠ مدينة كبرى و٣٠٠ مدينة صغرى وبلغ عدد قراها ومزارعها ١٢ الفاً اما جبايتها فقد بلغت ٦ ملايين دينار . وقال بعضهم بل كان في وادي « قضا الكبير » وحده ١٤ الف قرية ولا يخفى ما في ذلك من الغلو . ثم توفي في عز وجاه وذلك في عام ٩٧٦ فخلفه ابنه هشام الثاني الذي تلقب المؤيد وهو فتى صغير فاستوزر محمداً بن ابي عامر وكان رجلا شديد البأس فقبض على ازمة الملك دون ان يعبأ بالخليفة فبقي هشام تحت سلطته . وقد حارب ابو عامر الافرنج فقهرهم اولاً ثم قهروه في معركة كبرى فجرح فيها ومن شدة حزنه ابى مداواة جرحه فمات بسببه . فخلفه اخوه عبد الملك الذي تلقب بالمظفر فابقى الحجر على المؤيد ثم توفي فخلفه اخوه عبد الرحمن فاخذ عهداً من المؤيد بالتنازل له عن الخلافة فثار لذلك الامويون وخلعوا المؤيد وبايعوا محمداً بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر فحدثت بين الفريقين بسبب الخلافة والتنازع عليها حروب جعلت قرطبة فوضى بلا وازع ولا رادع . ومنذ هذا الحين ابتدأ التمدن الاندلسي يتدلى ويهبط بعد بلوغه اوج المجد والعظمة

فلما رأى الافرنج انقسام العرب وتفرق كلمتهم اجتمعوا مع تفرقهم لمقاتلتهم واخراجهم من اسبانيا . وكان قد تالف في شمال اسبانيا وغيرها من الجهات التي تلي املاك العرب فيها ممالك صغيرة اهمها مملكة استوريا ومملكة نافاريا وكونتيه برشلونه ومملكة غاليسيا وكاستيل

واستعدت لمقاومة العرب . فلما راى العرب هذا الخطر اتفقوا بعد تفرقهم واستنجدوا على خصومهم بيوسف بن تشفين صاحب بلاد المغرب الذي لقب نفسه « امير المسلمين » . وكان الافرنج قد قدموا عليهم الملك الفونس السادس ملك غاليسيا وكستيل فقدم يوسف بن تشفين بجنوده المغاربة وكسره شر كسرة . ثم اضطر يوسف الى العودة الى افريقيا فعاد الامل الى الافرنج فلما سمع يوسف بذلك عاد اليهم ولكنّ امراء الاندلس كانوا قد تغيروا عليه وعلى رجاله لان الذوق العربي لم يكن يألف ذوق البربر فقاتلهم يوسف وتغلب عليهم وولى ابنه الامارة تحت سيادة العباسيين

وكانت الحروب في افريقيا قائمة قاعدة في ذلك الزمان فلم يتمكن خلفاء يوسف وابنه من حفظ أسبانيا فقويت امارات الافرنج على العرب فتفرق امر العرب واستقلّ كل والٍ بالاقليم الذي كان يدير شؤونه . فتهافت الافرنج على الاقاليم الاندلسية واخرجوها من ايدي العرب في القرن الثالث عشر واحداً بعد واحد وكان آخرها اقليم غرناطه . وقد زالت سلطة العرب من الاندلس في اوائل القرن الخامس عشر (سنة ١٤٩٢) وكان ملك كاستيل هو عدوها اللدود الذي لم تقوَ عليه . وهكذا زال ذلك الملك الضخم والمجد العظيم . وسبحان محيي الدول ومميت الدول انه الحيّ الباقي وحده

١٠

﴿ سلطنة المغرب اي مراكش ومسالة جبل طارق ﴾

﴿ سلطنة المغرب اي مراكش ﴾ ولما قامت الدولة الاموية في الاندلس قامت دولة اخرى في افريقية وتُعرف بدولة الفاطميين . وهي خلافة شيعية لاهل ابي طالب نشأت في بلاد المغرب وكانت شاملة مراكش والجزائر وتونس وطرابلس الغرب . واما السبب في نشأتها فهو ان العباسيين لما اخذوا يقاومون بني امية لاخراج الخلافة من ايديهم كان العلويون يحسبون انهم يصنعون ذلك انتقاماً لعلي (رضه) وانهم سيعيدونها اي الخلافة الى آله . وكان كثيرون من المسلمين يرون انه متى سقط الامويون وجب مبايعة العلويين لان الخلافة لهم . فلما اسقط العباسيون الامويين واستأثروا بالخلافة غضب لذلك آل ابي طالب فصار الخلفاء العباسيون يضطهدونهم اضعافاً لامرهم . فلما كانت خلافة المعتضد بالله العباسي كتب الى عامل له في بلاد المغرب ان يقبض على رجل يُدعى عبيد الله بن الحسين بن علي بن ابي طالب فقبض العامل عليه وسجنه . ولكنه تمكن من الفرار من سجنه فتكنى بابي محمد وادعى انه المهدي فصدقه المسلمون في الغرب وتبعوه فانشأ دولة في افريقية وخلافة

تعرف بالخلافة الفاطمية و بنى مدينة رقادة بالقرب من القيروان · وفيه قال ابن هاني الشاعر الاندلسي الذي كانوا يلقبونه متنبي الغرب تشبيهاً له بابي الطيب المتنبي الشاعر المشهور الذي كان من معاصريه

حلَّ برقادة المسيحُ حل بها آدمٌ ونوح
حلَّ بها الله ذو البرايا وماسوى ذاك فهو ريح

ولا عجب ان يغلو ابن هاني هذا الغلو فانه كان مشهوراً بالمبالغات ومنها قوله في مدح المعز لدين الله حفيد المهدي المذكور

هو علة الدنيا ومن خُلقت له ولعلةٍ ما كانت الاشياء
ليست سماء الله ما ترأونها لكن ارضاً تحتويه سماء

وقال فيه ايضاً

ارى مدحه كالمدح لله انه قنوت وتسبيح يُحطُّ به الوزر

وقال

ما شئتَ لا ما شاءت الاقدار فاحكم فانت الواحد القهار
وكانما انت النبي محمد وكانما انصارك الانصار
انت الذي كانت تبشرنا به في كتبها الاحبار والاخبار
انت الذي تجدي شفاعته غداً حقاً وتُخمد ان تراه النار

وقد يكون للاديب ابن هاني الشاعر المطبوع عذر في مدحه المهدي بالالوهية لانه كان يزعمها ولكن ما عذره في مدح حفيده المعز هذا المدح البارد .

ولكن فلنترك الآن الشعر ولنعد الى الدولة الفاطمية التي قدمنا هذه المقدمة لها · فان هذه الدولة قد عظمت في افريقية وعجز العباسيون عن مناوأتها وقد ساعدها بنو امية من الاندلس نكاية بالعباسيين ففتحت القطر المصري على يد القائد جوهر في عهد المعز لدين الله الذي تقدم ذكره بعد موت كافور الاخشيدي وفي ذلك يقول ابن هاني

يقول بنو العباس هل فُتحت مصر فقل لبني العباس قد قُضي الامرُ
وقد جاوز الاسكندرية جوهرٌ تطالعه البشرى ويقدمه النصرُ

ولما فتح جوهر مصراً شرع ببناء القاهرة وجامع الازهر ثم نقل اليها المعز كرسي الخلافة · وما زالت دولة الفاطميين حتى انقرضت فاستقل كل عامل بعمله في مصر وتونس والجزائر و بلاد المغرب وفي القرن السادس عشر تولى بلاد المغرب احد اشرافها وهو جد الاسرة المالكة اليوم



﴿ مولاي عبد العزيز ﴾
سلطان مراكش الحالي مع دراجته المولع بركوبها

ومراكش سلطنة واسعة لا تزال مجهولة . وعدد سكانها اليوم ٨ ملايين نفس وهم مؤلفون من عرب و بربر ومغاربة وزنج ويهود وعاصمتها مدينة مراكش وعدد سكانها خمسون الف نفس . وقد سميت مراكش من قبيل تسمية الكل بجزء منه لان مراكش في الاصل اسم مدينة بناها يوسف بن تشفين امير المسلمين الذي تقدم ذكره في تاريخ الاندلس وذلك في عام ٤٥٤ للهجرة . وقد بنى هذه المدينة في غابة كثيفة كانت ملجأ للصوص فكان السكان اذا مروا بها قالوا (مرّ اكش) اي مرّ مسرعاً فسميت تلك المدينة بهذا الاسم

وسلطانها الحالي مولاي عبد العزيز وهو شاب نشيط محب للتمدن الحديث ومولع بمصنوعاته كالدراجات والفونوغراف والتصوير الشمسي . و يقال ان سفراء الدول يتزاحمون في بلاطه بواسطة هذه الاشياء فمن اهداه منها هدية اثمن وافضل من هدية الثاني علا نفوذه على نفوذه في البلاط وسهلت اعمال دولته . وقد رسم السلطان في هذا الرسم مع دراجته

اما المزاحمة في بلاطه بين سفراء الدول فهي شديدة لان للدول الاوربية مطامع في مملكته . وهذه المطامع تنحصر بين فرنسا وانكلترا واسبانيا والمانيا . اما فرنسا فانها تحدثها نفسها بضم سلطنة مراكش الى الجزائر كما تضم برتقالة الى برتقالة اكمالاً لسلطنتها الافريقية . واما انكلترا فانها تطمح على الاقل الى ثغر طنجه تأييداً لمركزها في جبل طارق والبحر المتوسط

١١

﴿ جبل طارق القديم والحديث ﴾ ذلك لان جبل طارق مفتاح البحرين : البحر المتوسط والبحر الاتلانتيكي . وهو قائم في الشاطىء الاوربي فوق مدينة صغيرة سميت باسمه وعدد سكانها لا يتجاوز ٣٠ الف نسمة . اما مرفأ هذه المدينة وهذا الجبل فهو اعظم مرفأ حربي

في العالم فان اهميته في التجارة توازي اهمية مرسيليا والبضائع تدخل اليه من غير رسوم لانه مرفأ انكليزي ولكنها توزع منه في اسبانيا وغيرها على سبيل التهريب فتضر باسبانيا ضرراً مالياً كثيراً ما شكت منه . وقد كان هذا الجبل وهذه المدينة لاسبانيا قبل عام ١٧٠٤ ولكن الاميرال روك الانكليزي هجم على جبل طارق في هذا العام واحتله احتلالاً وقتياً بينما كانت اسبانيا في مشاغل وحروب والى اليوم لم تخرج انكلترا منه . ويسمى راس هذا الجبل الداخل في البحر « راس اوروبا » وقد وضع الانكليز في جوفه مدافع كبرى تقطع الطريق على السفن دون ان تراها السفن وانشئوا فيه انفاقاً وحفائر للمؤن والنوم والاقامة فكأنما داخل الجبل المذكور مدينة جديدة غير المدينة التي في سفحه . ويقيم في جوف هذا الجبل ٦ الاف جندي لحامية دائمة لا تفارق مركزها . ويقول بعض الانكليز انه ليس في العالم كله قوة قادرة على الاستيلاء على هذا المركز ولا على المرور من امامه اذا شاء ان لا تمر . ويقول البعض الآخر ان ذلك وهم فان الاسطول اذا كان قوياً وعلى الخصوص سريعاً استطاع النجاة بنفسه دون ان يعبأ بمدافع جبل طارق

وبجانب جبل طارق ثغر « الجزيرة » وثغر « طريف » وهما لاسبانيا كما ترى في الرسم وفي وجهه اي في مقابلته ثغر (سبته) على الشاطىء الافريقي وهو لاسبانيا ايضاً ولذلك يخشى الانكليز اذا اشتبكوا بالحرب مع احدى الدول ان تنحاز اسبانيا الى خصمهم فتدمر من « الجزيرة » ومن « سبته » المعاقل والحصون التي انشأوها في جبل طارق والسفن التي تكون لاجئة في مينائه . ولذلك قاموا في الشهر الماضي يشددون النكير على حكومتهم ويطلبون زيادة تحصين الجبل والميناء وانشاء احواض مستترة تلجأ اليها السفن ولا تصل اليها مدافع الاسبان ومحالفيهم (١) اما عرض المضيق بين الشاطىء الاوربي والشاطىء الافريقي فانه يبلغ ١٣ كيلو متراً واذا وقف رجل على احدها استطاع رؤية الواقف على الشاطىء الثاني . واما عمق البحر في هذا المضيق فانه ٩٠٠ متر على الاكثر و٣٠٠ متر على الاقل . ويزعم الاقدمون ان البطل هرقل اليوناني هو الذي حفر هذا المضيق لوصل البحر المتوسط بالاوقيانوس واما العلماء فانهم يزعمون ان ذلك المضيق كان ارضاً يابسة تصل اوروبا بافريقيا بين البحر المتوسط والاوقيانوس الاتلانتيكي فجعل هذان البحران يصدمانه ويفتتانه ويجتاحان فتاته حتى تلاقيا واتصلا فانشئا هذا الخليج . على ان هذا الزعم يثبت ان فردينان دي لسبس قد عمل عملاً قبل اوانه . لانه لو لم يحفر ترعة السويس منذ سنوات مضت لحفرها الزمان بعد مئات من السنين

---

(١) وسينفقون لانشاء هذه التحصينات الجديدة اربعة ملايين و٨٢٠ الف جنيه

وكان جبل طارق يسمى قبل نزول طارق فيه جبل « كالبه »

١٢

هذه هي اليوم بوجه الاجمال حالة سلطنة المغرب التي كان لها الحول والطول في ايام دولة الاندلس يوم كان واليها والياً عليها وعلى الاندلس معاً · ولم نذكر شيئاً من احوالها الخصوصية وشؤونها الداخلية لان هذا المقال قد طال وضاق بنا المجال فضلاً عن استيفاء الجرائد اليومية البحث في هذه الاحوال · غير اننا نقول في الختام ان مراكش اذا سقطت في حبائل الدول الاوربية انتهى بذلك استقلال آخر دولة من الدول العربية واصبحت الحبشة في جميع اقطار افريقيا منفردة بنعمة الاستقلال والحرية

واذا نظرتَ الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتنعمُ

والارض لله يورثها لمن يشاء وهو الفعال لما يريد

مدام بوثا ومدام كروجر

ذكرنا في صدر هذا الباب اننا سننشر في كل جزء ترجمة رجل وامرأة من مشاهير الرجال والنساء · وقد اخترنا لهذا الجزء المراة الفاضلة التي توجهت اليها في الايام الاخيرة انظار العالم المتمدن كله وصار اسمها في كل شفة ولسان لانها كانت الوسيط بين اللورد كتشنر قائد الجنود الانكليزية وزوجها الجنرال بوثا قائد جنود البوير في مسالة عقد الصلح · ثم سافرت من الترنسفال الى انكلترا فزادها هذا الامر اهمية لان الناس اعتقدوا انها مسافرة في مهمة خصوصية من قبل اللورد كتشنر وهي مقابلة كروجر واقناعه بوجوب اصدار الامر الى جنود البوير بالتسليم والكف عن القتال لانهم اصبحوا من الضيق في اسوإ حال



﴿ مدام بوثا ﴾

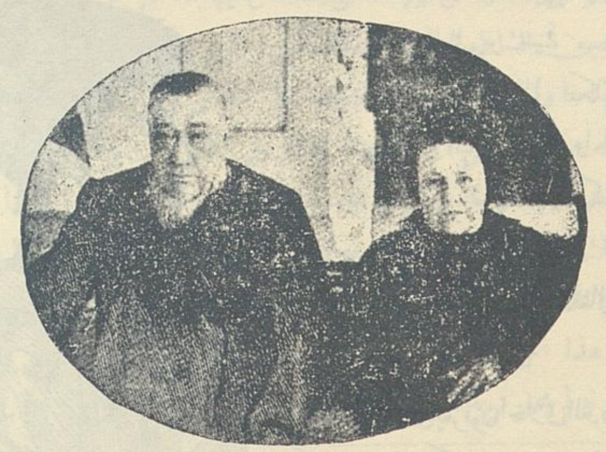
واما الذين يعرفون اخلاق اللورد كتشنر فانهم اكدوا انه لا يمكن ان يعهد بمهمة رسمية الى النساء

لانه لا يلتفت اليهن كثيرًا ولا يثق بهن كل الثقة

ومدام بوثا سيدة في منتصف العمر وهي سمراء اللون بملامح جميلة وتحسن الانكليزية والهولاندية · ويروى عنها انها تكره الحرب ولو كان الامر اليها لوقفت رحى الحرب منذ زمان · ولما وصلت مدام بوثا الى سوتنتون في انكلترا كان مراسلو الجرائد من كل الاقطار ينتظرونها لمحادثتها فلم تقابل احدًا منهم مع اصرارهم على مقابلتها · ولم يُعلم الى الآن على التمام الغرض من سفرها

اما مدام كروجر التي نشرنا رسمها في هذا الفصل ايضاً فقد كانت احسن حظاً من صديقتها مدام بوثا لانها قد انتقلت من هذه الحياة الى حياة افضل منها · وكانت وفاتها بذات الرئة ولم يطل مرضها سوى ثلاثة ايام · وهذه مصيبة جديدة فوق مصائب الشيخ كروجر زوجها

واما البوير فانهم لا يزالون في مناوشات مع الجنود الانكليزية · وتقول الجرائد البريطانية ان السبب في عدم تسليم البوير الى الآن الخرافات التي يذيعها قوادهم بينهم · كقولهم « ان حكومة الترانسفال متحققة انه ستحدث مشاكل سياسية بين الدول بعد ثلاثة اشهر » او « ان شعب فرنسا قد ثار يطلب محاربة انكلترا وسترسل الحكومة الفرنسوية مائتي الف جندي لنجدة البوير » او « ان الانكليز يطلبون الصلح والرئيس كروجر يرفض مصالحتهم » · واما الجرائد التي تستقي اخبارها من مصادر البوير فتقول انهم واثقون بان اللورد كتشنر سيضطر الى طلب الصلح منهم على الشروط التي يريدونها ولذلك يقاتلونه مستبسلين فاما الموت واما الاستقلال



﴿ الرئيس كروجر وزوجته التي توفيت حديثًا ﴾

المقالات

هندية وانكليزي

فصل ملخص عن الكاتب الانكليزي المشهور روديركيبلنغ وقد كتبه عند ابتداء الطاعون والمجاعة والهواء الاصفر في الهند باسلوبه البديع الذي جعل له المقام الاول بين كتاب الانكليز في هذا الزمان . وقد قبض ثمن هذا الفصل الفي فرنك

١

فقال لها : واذا كان المولود ابنة

فقالت كلا ياسيدي فانني متحققة انه سيكون غلاماً . لاني صرفت كثيرًا من الليالي في الصلاة واهديتُ كثيرًا من الهدايا الى مزار شيخ « بدل » . وقد سألتُ شيخ جامع « باتان » ان يرصد الفلك ساعة ولادته . فليقدّر الله له ان يولد تحت نجم حسن الطالع . وحينئذٍ تسرُّ من عبدتك

فقال : متى صرتِ عبدتي ياملكتي

قالت . صرت عبدتك منذ نظرتك . ولكنني لم اكن متحققة حبك لانك ابتعتني بمالك

فقال . كلا لم ابتعك وانما دفعت المال لامك كمهرلكِ

فقالت الفتاة ضاحكة . نعم وقد خبأتْ امي المال في الارض وهي تقعد فوقه طول النهار كما تقعد الدجاجة فوق البيض . ولكن لا تقل انك دفعته مهرًا فانك ابتعتني ابتياعاً

فقال لها . وهل تاسفين لذلك

فقالت . لقد حزنت منه في بدء الامر . اما الآن فانني مسرورة جدًا ولكن قل لي اتحبني دائماً

فقال لها . نعم دائماً

فقالت له . واذا احبك « المماليك » اولئك النساء البيض هل تعدل عن حبي .

لقد نظرتهن امس في مركباتهن فوجدتهن جميلات

فاجاب الشاب . كنتُ سائرًا في الليل فنظرتُ مئات من الاجرام المنيرة . ولكن بعد برهة طلع القمر فلم اعد ارى غيره

فلطمت « اميرة » يدًا بيد من سرورها بهذا الجواب وصاحت ضاحكة ملءَ فمها : احسنت احسنت . ثم قالت بهيئة جدية . حسبي هذا الكلام فقد صرتُ اسمح لك بالسفر اذا اردته

اما الرجل فانه بقي صامتاً مفكرًا في مكانه . وكان جالساً على فراش منخفض في غرفة بسيطة مفروشة ببعض البسط الهندية وعلى المقاعد بعض مساند (مخدات) هندية ايضاً . وكانت جالسة تحت قدميه فتاة في السابعة عشرة من العمر وهو ينظر اليها فكانها الدنيا كلها عنده

وكان عيشه معها مخالفاً لكل قاعدة ونظام . فان الرجل كان انكليزياً والفتاة هندية . ولكن « جون هولدن » كان يحبها حباً شديدًا . وقد استاجر بيتاً في اكمة مشرفة على المدينة ليعيش فيه معها ومع امها آمناً خليّ البال . فكان اذا دخل هذا البيت نسي كل عناء وتعب وحسبه مملكته

ولكن شخصاً ثالثاً كان قادماً عليها في ساعة قريبة . وهذا الشخص الثالث سيكدر صفو المنزل ويعترض هناءه . ولذلك كان هولدن غير مسرور به . اما اميرة فانها كانت تكاد تطير فرحاً كلما افتكرت به . لانها كانت ترى مع امها ان الرجل الابيض قلما يكون ثابت الحب ولكن يدي طفل صغير محبوب قد تجعلانه ثابتاً . وكانت اميرة تقول في نفسها دائماً « ومتى جاءت هاتان اليدان لا يعود يعبأ بالمماليك اولئك النساء البيض اللواتي ابغضهن بغضاً شديدًا »

بمثل هذا كانت تفتكر اميرة وهي جالسة امامه . واما هولدن فانه كان يفتكر بامرٍ اصدرته الحكومة الهندية اليه وهو السفر الى مركز قريب ليقوم فيه مقام موظف غائب لمرض امراته

ولما وقفت اميرة على خبر سفره قالت بهدوء متألمة اف من هذا السفر . ولكن لا باس فانها مصيبة صغيرة لا كبيرة . سافر ولا تحمل همي فان امي عندي تعتني بي . ومتى رجعتَ فاني اؤمل لا بل اؤكد انني « ساضعه » بين يديك . ولكن لا تقف على الطريق لمحادثة المماليك اولئك النساء البيض الجسورات . وعد باسرع ما يمكن

فودعها هولدن وخرج فاوصى الحارس المقيم امام حاجز البيت لحراسته بان يبعث اليه اشارة تلغرافية حين خلاص اميرة ثم ركب القطار وسافر وهو حزين حزن من يحضر جنازة نفسه

فوصل هولدن الى مركزه وشرع في عمله وهو شارد الافكار . وكان في النهار يخشى ان يرده تلغراف حامل خبرًا سيئًا وفي الليل يرى في الحلم « اميرة » ميتة فينتبه مذعورًا . وما زال صابرًا حتى انقضت الخمسة عشر يومًا فخالها خمسة عشر عامًا لاسيما وانه لم ترده اشارة تلغرافية من حارس منزله فركب جواده وسار هائمًا على وجهه قاصدًا منزله

فلما وصل الى حاجز المنزل صاح بالحارس ماذا جرى . فاجاب الحارس كمن يبشر بخبر سار : لايخرج الخبر من فمي يا ابا الفقراء . فاسرع هولدن ودخل الى حديقة المنزل فسمع عند دخوله صوتًا دقيقًا غريبًا لم يكن قد سمعه من قبل فصعد الدم الى راسه (١) وصاح : مَن هناك . فاجابه من الداخل صوت اميره الضعيف : نحن هنا ثلاثة : امراتان ورجل هو ابنك

فدخل هولدن باب المنزل مسرعًا . وكان في عتبة الباب سيف مجرد وضعته الام هنالك لطرد النحس وسوء البخت عن المولود الجديد فداس هولدن السيف دون ان يراه فانكسر من عند قبضته . فصاحت اميره الله اكبر . لقد كسرتَ نحسه وحملت متاعبه

فاسرع اليها هولدن بشوق عظيم وقال . كيف انتِ يا حياة حياتي . وانت ايتها العجوز كيف انتِ

فاجابت العجوز كل شيء حسنٌ

وقالت اميره وهي تنظر اليه بحنو وحب . نعم كل شيء حسن . ولكن قد اطلت غيابك . اين الهدية التي جئتني بها . لا لا ان الهدية في هذه المرة مني . واليك هي . انظر اليه هل رايت في زمانك طفلاً مثله . آه انني لضعفي لا استطيع سحب ذراعي من تحت جسمه فقال هولدن استريحي ولا تتكلمي فتتعبي يا « بكشيري » (٢)

فقالت اميره ضاحكة صدقتَ بهذه الكلمة فقد صار بيننا رباط جديد . وهو نقي من غير عيب ولا وصمة . فاسال الله ان يحرسه ويجعله جنديًا للملكة . ولكن قل لي الا تزال تحبني مع ضعفي ونحولي وتغير جسمي . تكلم بحرية

---

(١) وفي الاصل « الى حلقومه » (٢) بكشيري معناها باللغة الهندية امراة صغيرة او حبل لربط الخيل

فقال هولدن نعم احبك كما احببتك من قبل ولكن استريحي ولا تتكلمي

فقالت اجلس اذاً . اجلس هنا قريباً مني . يا امُّ احضري مسنداً (مخدة) الى سيد المنزل

ولما قالت هذا حدث اضطراب خفيف تحت اللحاف فصاحت اميره ضاحكة بجنون . آه ما اقواه فانه يرفسني منذ الآن بقدمه في جانبي رفسات شديدة . ياناس هل راى احد ولداً مثله . ضع يدك على راسه وجسمه . ولكن تانَّ كثيراً لانه صغير جداً وانتم معاشر الرجال لا تحسنون المعاملة في هذه الامور

فمد هولدن يده وجس بلطف راس الطفل . فاردفت اميرة بقولها : ولقد صليتُ كثيراً في هذا الليل وتركته نائماً وقرأتُ له الفاتحة في اذنه . تامل وقل لي اليس غريباً ان يولد في يوم جمعة كما وُلدتُ انا . انظر انظر اليه ياحياتي فانه صار قادراً تقريباً على القبض بيده

فمد هولدن يده الى يد الطفل فالواها الطفل كمن يحاول القبض بيده . فلما شعر هولدن بقبضة الطفل احسَّ بقشعريرة في كل جسمه وبنبض شديد في قلبه . وصار يرى منذ هذا الحين ان في العالم شيئاً غير اميره جديراً باهتمامه ومسرته فاخذ يفتكر في ذلك بينما كانت اميره نائمة

وحينئذٍ دنت ام الفتاة وقالت بصوت منخفض انهض من هنا يا « صاحب » ولا تجعلها تراك حين انتباهها لاحتياجها الى الهدوء والراحة

فنهض هولدن وقال . هاءنذا ذاهب فاعتني بها وبه ثم وضع في يدها بضعة ريالات

فانتبهت اميره على صوت الريالات فقالت بصوت ضعيف : انا امه لا خادمته فالمال لا يجعلني اكثر اعتناء به ردي يا امُّ ما اخذتِ

ثم نامت اميره نوماً عميقاً لانها كانت شديدة الضعف فخرج هولدن الى الدار فوجد الحارس الشيخ « بيرخان » ينتظره ضاحكاً مسروراً فلما رآه بيرخان قال مازحاً : صار الآن البيت كاملاً . ثم انه وضع في يد هولدن قبضة سيف مجرد . وسُمع في هذا الحين مُعاء شاة كانت مربوطة قرب البئر . فقال بيرخان . لقد احضرت شاتين من افضل الانواع وبما انك لا تدعو احداً الى مادبة فان لحمها سيكون لي . ولكن امسك السيف جيداً باصاحب واضرب ضربة قاطعة متى رفعت الشاة راسها

فقال هولدن وما الغرض من ذلك

فقال الشيخ الغرض من ذلك تضحيتها فدى عن المولود والا خيف من موته لا سمح الله ولا تنسَ الكلام الذي يجب ان تقوله حين ضربها

وكان هولدن قد حفظ هذا الكلام على سبيل الفكاهة اذ لم يكن قد خطر له انه سيحتاج اليه وكان قابضاً على مقبض السيف بيده فاذكرته هذه القبضة قبضة الطفل التي تقدم ذكرها فثارت نفسه حنواً وخوفاً على الطفل لدى ذكر الشيخ احتمال موته · فعزم على تضحية الشاتين · فقال له الشيخ بيرخان اضرب فان الحياة لم تبرح فدى الحياة في كل مكان · فرفع هولدن سيفه وضرب به الشاتين ضربتين وهو يهمس بهذه الصلاة

« اسالك ايها القادر ان تحرس ابني واقدم لك حياةً عوض حياته ودماً بدل دمه وراساً بدل راسه وعظاماً بدل عظامه وجلداً بدل جلده »

فلما سقطت الشاتان صاح بيرخان لقد ضربتَ ضربة صائبة يا ابا الفقراء فليعش ابنك الف سنة · اما لحم الشاتين فهو لي

فاعطاه هولدن لحم الشاتين وفوقه راتب شهر مكافأة له · ثم ركب جواده وسار هائماً على وجهه لشدة تاثره وانفعاله وكان يشعر بسرور بالغ مبلغ الجنون من شدة هذا التاثر · فخطر له ان يذهب الى النادي الانكليزي تسكيناً لنفسه · فوجد بعضاً من اصدقائه يلعبون بالبلياردو فتناول احدى العصي وتقدم للعب وهو ينشد ملء فمه

« بينما كنت اتنزه في بلتيمور

« واذا بي قد لقيت سيدة

فالتفت اليه سكرتير النادي من احدى زوايا المكان وقال له : اصحيح انك لقيت سيدة · وماذا قالت لك عن جزمتك المبللة بشيء شبيه بالدم

فالتفت هولدن فراى على جزمته آثار دم الشاتين فاجاب ضاحكاً هذا من تاثير الندى في الليل · ثم عاد الى نشيده

« فاذا كانت ابنة فسيوضع في اصبعها خاتم الزواج

« واذا كان غلاماً فانه سيقاتل في سبيل ملكه

ثم فرغ اللاعبون من اللعب وجلسوا الى الحديث فدار الكلام على الموضوع الذي لا موضوع سواه وهو اعمال المستخدمين فسكن اللعب والحديث جاش هولدن فعاد الى منزله وقد اقام ساهراً قسماً من الليل ولكنه لما نام حلم احلاماً جميلة

٢

— اما الآن فكم عمره

فاجابت اميره : يا الله · في الحقيقة ان هذا السؤال سؤال رجل · الا تعلم انه بلغ الآن الاسبوع السادس · وساصعد معك في هذه الليلة الى سطح البيت لعدّ النجوم ومشاهدتها فان ذلك يجعله حسن الطالع · وقد كانت ولادته يوم جمعة تحت برج الشمس وفي ذلك دليل كبير على حسن حظه · وقد قيل لي انه سيعيش بعدنا وقتاً طويلاً و يصبح غنياً كبيراً · فماذا تريد احسن من هذا ياحبيبي

فاجاب هولدن لا اريد شيئاً فاصعدي الى السطح لعد النجوم ولكنك لا تعدين الا بعضاً منها لان الغيوم متلبدة في السماء

فقالت اميره ان المطر متاخر في هذا العام ولعله لا ينزل الا بعد مرور فصل الشتاء فلنصعد قبل ان تغطي الغيوم السماء فانني لبست كل حلاي وجواهري

فقال هولدن باسماً ولكنك نسيت اثمنها كلها

فاجابت : تعني الطفل نعم انه سيصعد معنا لانه لم يشهد السماء بعد

ثم ان اميره اخذت طفلها بين ذراعيها وصعدت به مع هولدن الى سطح البيت والحلى تسطع في صدرها وجبهتها وترنّ في معصميها وقدميها · فجلست بجانب هولدن على مكان في السطح مشرف على المدينة وكانت الانوار تسطع فيها من بعيد وفوقها نجوم السماء كمصابيح معلقة في الفضاء · فقالت اميره متنهدة · وهل تظن ان سكان هذه المدينة سعداء مثلنا · اما انا فانني لا اظن المماليك اولئك النساء الجسورات سعيدات

فقال هولدن وانا أُوكد انهن غير سعيدات

فقالت اميره ومن اين عرفت ذلك

فقال هولدن من انهن يسلمن اطفالهن الى المراضع

فصاحت اميره · لم ارَ هذا الامر في حياتي ولا احب ان اراه · ثم انها الوت راسها الجميل واسندته الى كتف هولدن قائلة : لقد عددت اربعين نجمة فتعبت انظر انظر الى الطفل ياحياتي فانه يعد النجوم ايضاً

وكان الطفل ينظر الى السماء بعينين كبيرتين مستديرتين وهو مسرور بهذا المنظر العلوي · فرفعته امه ووضعته بين ذراعي ابيه · فاقام الولد فيهما ساكناً و بقي يجيل نظره في الفضاء الذي امامه

فقالت اميره . انظر اليه ياحبيب فان عينيه كعينيك

فاجاب هولدن . نعم ولكن فمه كفمك

فقالت اميرة . ان فمه صغير كانه خاتم وقلبي معلق بين شفتي هذا الخاتم . رده بعيشك الي فانني لا استطيع فراقه

فقال لها دعيه فمتى بكى رددته اليك

فقالت ضاحكة : هذا شانكم ايها الرجال . ترده اليّ حينما يبكي . اما انا فانه حين بكائه يصبح اعزّ عليّ منه قبله . ولكن بعيشك قل لي ياحياتى ماذا نسميه

وكانت تحتهما امام المنزل ببغاء خضراء اللون واقفة في مكانها واكثر الهنود يقتنونها لانهم يعتبرونها حارسة المنزل وجالبة للسعادة . فاتفق ان الببغاء حركت جنحيها حركة شديدة لما سألت اميره هذا السؤال فاجاب هولدن : انظرتِ الببغاء ياحياتي فكأنها تجيبك سميه باسمي . فسميه « ميان ماتو » وهو اسمها في لغتكِ لعله يكون فصيحًا مثلها في حياته

فحملقت اميره وقالت . لماذا تجعلني بعيدة عنك هكذا . كلا انما اريد ان تسميه اسمًا يكون فيه شيء من الانكليزية وشيء من الهندية ليكون قريبًا منك ومني معًا

فضحك هولدن وقال : فلنسميه اذًا « توتا » فان هذا الاسم قريب من الاسماء الانكليزية

فقالت اميره . نعم فلنسمه « توتا » فانه اسم آخر للببغاء . ولكن عفوًا عما قلته لك الساعة . فانني رايت اسم « ميان ماتو » ثقيلاً كبيرًا لا يحمله ولد صغير كولدنا . اما توتا فانه صغير خفيف مثله . توتا حلو عذب . فلنسمه توتا . اليس كذلك ياتوتا

ثم لمست وجهه بكفها فانتبه الولد من نومه لانه كان قد نام فاخذ يبكي فتناولته امه وصارت تهمهم له (١) بهذا النشيد الهندي الذي تنشده المراضع الهنديات للاطفال

« غنّ غنّ .. فان الطفل ينام نومًا عميقًا

« والخوخ البري ينبت في الاحراش

« الليبره بيارتين يابابا (٢) الليبره بيارتين

فلما اطمانّ « توتا » عن ثمن الخوخ انقلب بين ذراعي امه ونام . اما امه فبقيت هنيهة

(١) همهمت المراة في راس الصبي تهميمًا نومته بصوت ترققه له كما تفعل الحواضن والمراضع في مصر والشام . وترادفها باللغة العامية كلمة « هد هد » فيقولون هد هد للطفل

(٢) « بابا » معناها الطفل

ساكتة مبهوتة . ثم قالت . لقد صليتُ الآن وطلبت امرين . الاول ان اموت فدى عنك اذا كان الموت مكتوبًا لك قبلي . والثاني ان اموت فدى الطفل اذا كان الموت مكتوبًا له قبلي . وقد طلبت ذلك من النبي والست مريم . فهل تظن انهما يستجيبان صلاتي

فقال هولدن . ومن لا يجيبك الى طلب يخرج من شفتيك

فقالت اميره . اجبني من غير مزاح هل اجاب الى طلبي

فقال هولدن . لا اعرف ذلك وانما اعرف ان الله كريم

فقالت اميره .... ثم اردفت بقولها . اصغ اليَّ الآن . اذا متُّ غدًا فماذا تصنع . العلك تعود الى المماليك اولئك النساء الجسورات فانني اعهد الجنس يجتذب الجنس

فاجاب هولدن . الجنس لا يجتذب الجنس دائمًا

فقالت اميره . نعم ان الجنس لا يجتذب الجنس في النساء ولكنه يجتذبه في الرجال ثم انك لا بدَّ ان تعود الى وطنك ولكن هذا امر لا يزال بعيدًا ولا يتم قبل موتي . وبعد ذلك تموت انت وتذهب الى مكان غير المكان الذي اذهب انا اليه بعد الموت فلا تستطيع القدوم الي ولا استطيع القدوم اليك . وولدنا هذا يكون معي . فكيف نصنع

فقال هولدن . دعي شؤون الغد الى الغد ولنهتم الآن بالحاضر فكفانا الآن اننا سعداء

فقالت اميره . نعم نحن سعداء ولكن يجب ان نضمن لانفسنا هذه السعادة . ولذلك اسال ستك مريم ان تجيبني الى طلبي لا سيما وانها امراة من جنسي . ولكن الحق اقول لك انني اخشى ان تحسدني . ولا ارى حسنًا ان يعبد الرجال النساء

فضحك هولدن ونهض قائلاً . انك طفلة وتتكلمين كما يتكلم الاطفال . فهلمي بنا ننزل عن السطح واحذري فانني ساحملك وانزل بك

قال هذا ثم حمل اميره بين ذراعيه وكان توتا بين ذراعيها فصاحت اميره وهي تضحك ضحكاً شديدًا : احذر احذر ياسيدي لئلا يسقط توتا . آه لا ريب انك انت الطفل

وكانت اميره تضحك وتوتا الذي استيقظ يبتسم لهذه الحركة الغريبة . ذلك انه كان طفلاً هادئًا كثير السكوت . ولم تمضِ عليه بضعة اشهر حتى صار معبود المنزل والساكنين فيه . وكان ذا لون نحاسي شبيه بلون امه ولكنه كان له ذكاء ابيه . واصبح ابوه شديد الولع به فاذا كان في عمله في اثناء النهار انتظر قدوم الليل بصبر فارغ ليعود الى المنزل ويشاهد توتا . وصار هولدن شديد الحب للاولاد فاذا لقي بعضهم من ابناء النزالة

الانكليزية لاطفهم ملاطفة كانت تعجب امهاتهم منها . وكان كلما عاد الى البيت وجد اميره مدهوشة من اعمال توتا . فتارة ترى ان توتا صار قادرًا على لطم يد يدوطورًا صار قادرًا على قبض شيء صغير وحمله . وفي ذات يوم انسحب توتا من سريره وخطا خطوتين وحده وهو يتعثر في سيره فكادت اميره تطير فرحًا

وكان يألف الحيوانات التي في المنزل كالبقرة والجواد وخصوصًا ميان ميتو (الببغاء). ففي ذات يوم مدَّ يده وجذب هذه المسكينة من ذنبها جذبًا شديدًا فصارت تصيح صياحًا قويًا فاسرع هولدن واميره على صوتها . وقالت اميره لما شاهدته . ابمثل هذا تعامل اخاك ميان ميتو ياشرس . رويدك لاجعلك حكيمًا عاقلاً كسليمان وافاطون (تعني افلاطون) ثم مدت يدها الى جيبها وتناولت سبع لوزات وذكرت اسم الله سبع مرات وبعد ذلك اخذت احدى اللوزات وقطعتها باسنانها قطعتين وقدمت قطعة منها الى الببغاء بعد ان وضعتها مكانها وهي منبوشة الريش من الاضطراب والخوف . فتناولت الببغاء القطعة بمنقارها فمدت الام القطعة الاخرى ووضعتها في فم توتا مع قبلة وضعتها على خده فصار توتا يا كل والببغاء تاكل . فقالت اميره لهولدن : ساصنع هكذا سبعة ايام فمتى شب غلامنا صار حكيمًا وخطيبًا كبيرًا

اما توتا فانه كان يكره اضاعة الوقت بالكلام وانما كان يطلب ذنب الببغاء دون سواه. فبذل ابوه وامه جهدهما حتى استطاعا صرف فكره عنه

وبعد اشهر شبَّ توتا وصار اهلاً للبس المنطقة الفضية والحلى الثمينة . فغافل امه ذات يوم ونزل الى الحديقة حيث كان الشيخ بيرخان الحارس واقترح عليه ان ياخذ منطقته الفضية وحلاه ويُركبه في مقابلة ذلك على الجواد . وقد تعلم توتا هذه المقايضة مما كانت تاتيه امه من هذا القبيل مع تجار الناحية . اما الشيخ بيرخان فانه بكى من فرحه ثم وضع الولد على راسه دلالة على خضوعه وعاد به الى البيت وهو يقول : ان توتا سيكون رجلاً كبيرًا قادرًا على قيادة الرجال

وفي ذات يوم كان على السطح مع امه وابيه فنظر فوق راسه « الطيارات » التي يطيرها صبيان المدينة فطلب من امه طيارة يطيرها. فضحك هولدن وقال ما هذا الولد الذي يطلب كل شيء . فلما سمع توتا كلام ابيه انتصب بقوة وقال بلغة الاطفال . انا لا ولد . انا رجل .

فصاحت اميره وهولدن ضاحكين ضحكًا شديدًا . ومنذ هذه الكلمة اخذ هولدن

يهتم بمستقبل ابنه اهتماماً حقيقياً

ولكن كل ذلك عبث في عبث . فان ولداً كاملاً كهذا الولد لا يمكن ان يعيش طويلاً على هذه الارض . ولذلك ما شعرت اميره في ذات ليلة الا وتوتا يقول لها انه متالم مع ان الالم لم يعرفه قط . فسهرت امه عليه في تلك الليلة الى الصباح . وفي الصباح اخذته حمى شديدة فاسلم روحه في ساعة واحدة

فظن هولدن واميره نفسهما لاول وهلة انهما في حلم لانهما لم يكونا يصدقان ان توتا يمكن ان يموت ولكن لما شاهداه امامهما جثة بلا روح علما انهما لم يكونا في المنام . فكادت اميره تجن من الحزن فاخذت تضرب راسها بالجدار ولو لم يمسكها هولدن لالقت بنفسها في البئر طلباً للموت مع ولدها

٣

وبعد يومين كان هولدن جالساً على السطح تحت نجوم السماء واميره ممددة وراسها على ركبته وهي تفتكر بالصغير الغائب . واذا بها تسمع الببغاء تنادي رفيقها الصغير في صفاء الليل وتصيح « توتا توتا » فارتعدت اميره واخذت تبكي . ثم جعلت تقول وهي تنتحب . هل تظن اننا لم نحسن مداواته . ومن اين اتته الحمى امن الشمس ام من العين

فقال هولدن . ذلك مكتوب ياحبيبتي فاننا قد صنعنا كل ما في وسعنا صنعه لانقاذه فما قدرنا . فما مضى قد مضى

فقالت اميره . ولكنني كلما رايتُ يديَّ فارغتين منه ذكرته بالرغم عني فكيف انسى ما مضى

فقال هولدن . انسي ما مضى ياعزيزتي ان لم يكن من اجلك فمن اجلي

فقالت اميره . اما انت فاني لا اراك كثير الاهتمام بما اصابني . فلا ريب انكم ايها الرجال البيض قساة القلوب والنفوس . آه ليتني تزوجت برجل من جنسي فان ذلك خير لي وان ضربني واهانني من ان آكل خبز رجل اجنبي

فقال لها هولدن أ انا اجنبي يا ام ولدي

فقالت اميره بنزق . ومَن تكون اذاً يا صاحب

وكانها عادت الى رشدها بعد هذا القول فصاحت . آه عفواً عفواً . لا تؤاخذني بما قلت فانني اقول الآن من شدة حزني ما اعلم وما لا اعلم . انت نور عيني ونسمة حياتي لا اجنبي عني



﴿ اميرة حزينة بعد الفرح ﴾

فقال هولدن انني اعذرك لانني اعرف من حزني مبلغ حزنك وسنعيش سعيدين ونحن اثنان كما عشنا ونحن ثلاثة . فاخمدي ثورة حزنك يا عزيزتي

وكانت تلك الليلة اولى ليالي الربيع وكان الجو حارًا والبروق ترقص في غيوم السماء من بعيد على نغم الرعود البعيدة . فعانقت اميره هولدن كأن صوت الرعد اخافها وقالت : ان الارض عطشانة الى الماء انظر اليها فتحسبها بقرة ظمأى تطلب من السماء مطرًا . لقد تغيرت حالتها عما كانت عليه يوم جلسنا هنا نعدُّ النجوم . ولكنك انت لم تتغير بل لا تزال تحبني كما كنت تحبني قبلاً . اليس كذلك . اجب

فقال هولدن نعم نعم انا كما كنت

فقالت اميرة انني اريد ان اكون امرأة لا طفلة فيما بعد لاساعدك في كل شيء

فقال هولدن انت امراتي وزوجتي امام الله والناس

فقالت اميرة اعطني الآن اذاً قيثاراً لانشد لك نشيداً عظيماً

قالت ذلك ثم تناولت قيثاراً واخذت تنشد بصوتها اللطيف نشيداً هندياً معروفاً بنشيد البطل الهندي الكبير « الرجاه رازالو » . ولكنها لم تتوسط النشيد حتى وقفت اناملها وانقلب نشيدها الى نشيد المراضع الذي ذكرناه آنفاً فصارت تنشد بصوت خافت

« الخوخ البري ينبت في الاحراش

« الليبرة بيارتين يا بابا الليبره بيارتين

فبكى هولدن عند ذلك وكانت اميرة تبكي ايضاً . فدنا منها هولدن ومسح دموعها وطيب خاطرها ومنذ هذا الحين اخذا يقولان كل ما ذكرا توتا : ما مضى قد مضى فلنهتم بالمستقبل . وكانا يقولان ذلك وهما يؤملان ان السماء تجيبهما الى طلبهما

ولكنّ السماء كانت مشغولة عنهما في ذلك الزمان بشيء آخر . فانها كانت قد منحت ملايين من الناس خصباً وسعة مدة اربع سنوات فاقبلت الحنطة وصحت الاجسام وكثرت المواليد حتى بلغ عدد سكان الميل المربع الواحد من الارض ٩٠٠ نفس الى الفي نفس . ولذلك صارت تريد توسيع المكان واخذ بعض من السكان

وكان نائب (توتنغ السفلى) قد خرج من بلاده سائحاً في اقطار الهند واخذ يثني على الادارة الانكليزية لما نشرته في تلك البلاد من الخيرات . وكان يرى ان كل شيء قد تمّ في الهند ولم يبقَ بها حاجة سوى الى ادخال طريقة الانتخاب العام لتعيين الحكام واقامة برلمان . وبينما كان يحدث رفاقه بذلك واذا به قد وصل الى شجرة من شجر الدك فوقف امامها يعجب بازهارها الحمراء التي ظهرت قبل اوانها من كثرة الخصب والاقبال . ولم يدرِ ان احمرار زهرها دليل على جفاف قادم . اما رفاقه فانهم كانوا يدرون بذلك فصاروا يبتسمون لما رأوه يستشهد بازهار الشجرة على حسن الادارة الانكليزية

وكان رجلان واقفين بالقرب منهم فقال الواحد للثاني . ان هذا النائب ثقيل وكانه نسيَ ان الرجل الذي كان يأكل بجانبه في السفينة التي قدم فيها قد مات بالكوليرا

فاجاب الثاني لا اعلم وانما اعلم ان الجراد قد غطى زروعنا والكوليرا تعبث في شمال البلاد وحاصلات الربيع ستكون ضعيفة والمطر مبطئ لا ينزل وشهر مارس قادم بخيله ورجله . تالله انني احسُّ بان للطبيعة ثاراً في الارض وانها ستناقشها الحساب بقلم احمر عريض

وكان هولدن سامعاً فقال في نفسه : رجعنا الى العادة القديمة · عادة المجاعة والكوليرا والحميات

وبعد شهرين اخذت الطبيعة كما قال ذلك الرجل تناقش الناس الحساب · فبعد حصاد الربيع ارتفعت اصوات الهنود يطلبون خبزاً · فركض الهواء الاصفر على صراخهم من اقطار الهند الاربعة · فضرب خمسمائة الف رجل كانوا يصلون في هيكلهم فمات كثيرون من هؤلاء المصلين تحت اقدام اصنامهم وفرّ الباقون الى بلادهم والهواء الاصفر يطاردهم · وكانوا اذا ركبوا القطارات جوفها او ظهرها او دخلوا المدن او صعدوا الى شاهق تبعتهم الكوليرا في ظهورهم يحصدهم حصداً · وقد دخل احدى المدن فقتل مائتي نفس من سكانها في كل يوم · وكانت جثث القتلى مبعثرة في كل مكان حتى ان خيول الانكليز كانت تجفل منها وهي سائرة في الطرق او بين الادغال · فاخذ الانكليز يرسلون نساءهم واولادهم الى آكام جبال حملايا وقاية لهم

فلما رأى هولدن هذه الحالة طار صوابه فذهب ركضاً الى اميره وطلب منها ان تسرع في السفر الى حملايا

فقالت اميره ضاحكة · ولماذا هذا السفر ·

فقال لان في المدينة وباء فتاكاً وقد ارسل جميع الانكليز نساءهم الى اعالي الجبال

فقالت اميره هل سافر جميع المماليك اولئك النساء البيض الجسورات

فقال هولدن لقد سافرن جميعهن الا بعضاً من العجائز اللواتي اصررن على الاقامة هنا نكاية بازواجهن

فقالت اميره بعذوبة · لا تهن العجائز فانهن سيصرن اخواتي لانني ساكون عجوزاً انا ايضاً · على انني مسرورة جداً من ان المماليك قد سافرن

فصاح هولدن · هل انا اخاطب طفلاً او امرأة · قلت لك انني اخاف عليك فاذهبي الى الآكام · واسمعي ياحبيبتي فانني ساجعلك تسافرين في مركبة جميلة تجرها البقر وتغطيها الستائر الحمر كما تسافر بنات الملوك

فصاحت به اميره · اسكت · اسكت · فاني لا افارقك · فلو كان « هو » حياً لكنت سافرت من اجله · اما الآن فلا افارقك لانني اخشى ان يصيبك شرٌّ فتأتي احدى النساء البيض وتعتني بك بدلاً مني واذا متُّ كان لها آخر نظر حبي من عينيك

فقال هولدن ولكن الحب لا يولد على فراش الموت فلا تخشي ذلك

قالت . وما الذي تعلمه انت من الحب ياذا القلب الحجري . على انها اذا لم تنل حبك فهي تنال شكرك . واقسم لك بالله والنبي والست مريم ام نبيك انني لا احتمل ذلك . فياسيدي وحبيبي دعنا من اضاعة الوقت في كلام السفر واعلم انني لا اكون الا حيثما تكون

ثم انها طوقت عنقه بذراعها ووضعت كفها على فمه منعاً له من الكلام

فاقام هولدن واميره في منزلها مسرورين سعيدين كما كانا من قبل . الا ان المدينة تحتها كانت في اشد عذاب وضيق . فان رائحة الكبريت كانت تملأ شوارعها وصراخ الحزن والبكاء تدوي في كل منزل من منازلها . وكان الهنود على اختلاف مذاهبهم في المعابد والمساجد يصلون و يطلبون عون السماء والمؤذنون يؤذنون في المنائر ليلاً ونهاراً ولكن السماء كانت لا تجيب احداً

وكان هولدن ينزل في كل يوم من منزله الى المدينة للقيام بخدمته ومتى فرغ منها عاد مسرعاً الى مقر سعادته . ففي ذات يوم وهو يطالع تلغرافات في غاية الاهمية ويغني بين شفتيه سمع حركة امامه فرفع رأسه فوجد الشيخ بيرخان حارس منزله . فسأله هولدن ما وراءك يابيرخان

فاجاب الشيخ : لما يصرخ صارخ في الظلام وتحشرج الروح في الصدر هل في الارض قوة قادرة على ايقافها . اركض يا أبا الفقراء فقد وفد الهواء الاصفر

فطار صواب هولدن واسرع الى منزله فنظر فيه منظراً فتت كبده

نظر اميرة ممددة في الغرفة التي ولد فيها توتا في نفس المكان الذي ولد فيه ولا حراك بها كأن ملاك الموت نزل بنفسه وضربها بيده ضربة قاضية

ان النفس البشرية محبة للعزلة والانفراد . ومتى كانت على اهبة الرحيل تختبىء في مكان مظلم في الجسم فلا يستطيع احد الوصول اليها

ولذلك لم يقدر هولدن على مخاطبة اميره كما انه كان عاجزاً عن معالجتها

ولكنه كان محنياً على وجهها الاصفر الجميل يوسعه تقبيلاً

وكانت قطرات المطر الاولى قد بدأت حينئذ بالنزول فكان هولدن يسمع وقعها على سطح المنزل ويسمع صراخ سكان المدينة ابتهاجاً بها .

وكأن قبلات هولدن اعادت نفس اميره الى جسمها ففتحت عينيها قليلاً وحركت شفتيها فانحنى هولدن عليها وقلبه يضطرب اضطراباً شديداً فسمعها تقول له بصوت ضعيف جداً .

— لا تحفظ مني شيئاً حتى ولا شعرة من شعري « فانها » ستضطرك الى حرقها. ومتى احرقتها شعرتُ بالنار وانا في قبري. ادنُ ادنُ مني. تقدم ايضاً.. اذكر انني كنت لك دائماً وانني اعطيتك ولداً... وهب انك تزوجت غداً بامراة بيضاء غيري فانك لا تسر معها كما سررت معي.. ولكنني ارجوك حينما ياتيك ولدمنها ان تذكرني.. ومنذ الآن ارجو ان تقع مصائب هذا الولد على راسي لاحملها عنه.. ثم ضعف صوت اميره كثيراً حتى صار عبارة عن نفخ ضعيف في اذن هولدن فقالت.. تاكدتُ الآن. تاكدتُ ان لا آلهة غيرك ياحبيبي

ثم اسلمت الروح فخرج آخر نفس من انفاسها في وجه هولدن المسكين

ولم يكد هولدن يتحقق موت زوجته ورفيقته حتى دخل داخل الى المنزل — وفي يده تلغراف من الحكومه هذا نصه

« توفي بالكوليرا ريكت وميدوني فارسلوا هولدن ليقوم مقامهما »

فوضع هولدن هذا التلغراف في جيبه والتفت فابصر اربع نساء مستترات بازار ابيض وهنَّ واقفات كالاصنام امامه. فتقدمت ام اميرة وقالت. هل ماتت ياصاحب فان هؤلاء النساء هن المغسلات ويجب دفنها بعد اربع ساعات. فاجاب هولدن نعم اني اعرف النظام. ثم خرج ويده على قلبه او قلبه على يده

واشتد في هذا الوقت صراخ سكان المدينة وعلت اصوات فرحهم لان المطر اخذ يهطل بعد طول جفاف الارض وانحباس السماء. ولكنه كان مطراً هائلاً. فانه استمر ثلاثة ايام متوالية بلا انقطاع فهدم الاكواخ وكسر الاشجار وملأ الشوارع والطرقات واجتاح مدافن المسلمين وقد بلغ ما هطل منه على الارض ٨ اصابع فلم يستطع هولدن السفر الى مكان خدمته الجديد. فلما صحت السماء صعد من المدينة وقصد ذلك المنزل الذي صرف فيه اوقاتاً سعيدة فراى الارض تدخن في حرارة الشمس وقد استعادت حياتها القديمة ورونقها القديم. وحين وصوله الى منزله وجد صاحب المنزل على الطريق. وكان المطر قد ملأ الحديقة والسلم وحلاً وخرب قسماً من البيت. اما ام اميرة فان هولدن كان قد وهبها الاثاث وامرها بالسفر وصرف حارسه بيرخان فلم يبقَ في المنزل غير الحيوانات التي كانت فيه وكانت رابضة في الغرف فكأنَّ ذلك المنزل كان مهجوراً منذ سنوات. فلما ابصر هولدن ذلك قال لصاحب المنزل ماذا تصنع غداً بمنزلك ياصاحب. فاجاب صاحب المنزل ساؤجره لمن يريد. فاجاب هولدن وقد كان يغار على المنزل الذي صرف فيه اسعد

اوقاته ان يسكنه احد غيره · فانا اذاً استاجره منك وابقيه مقفلاً

فضحك صاحب المنزل وقال له · لقد فهمت كلامك ياصاحب · وقد كنت مثلك في شبابي · اما الآن فانني عضو في المجلس البلدي · فسكن بالك فانني ساهدم هذا المنزل من اساسه وانشئ فيه طريقاً موصلة الى المدينة كما طلب المجلس · فلا يعود احد يعرف مكانه » انتهى

غرائب عيون الذباب

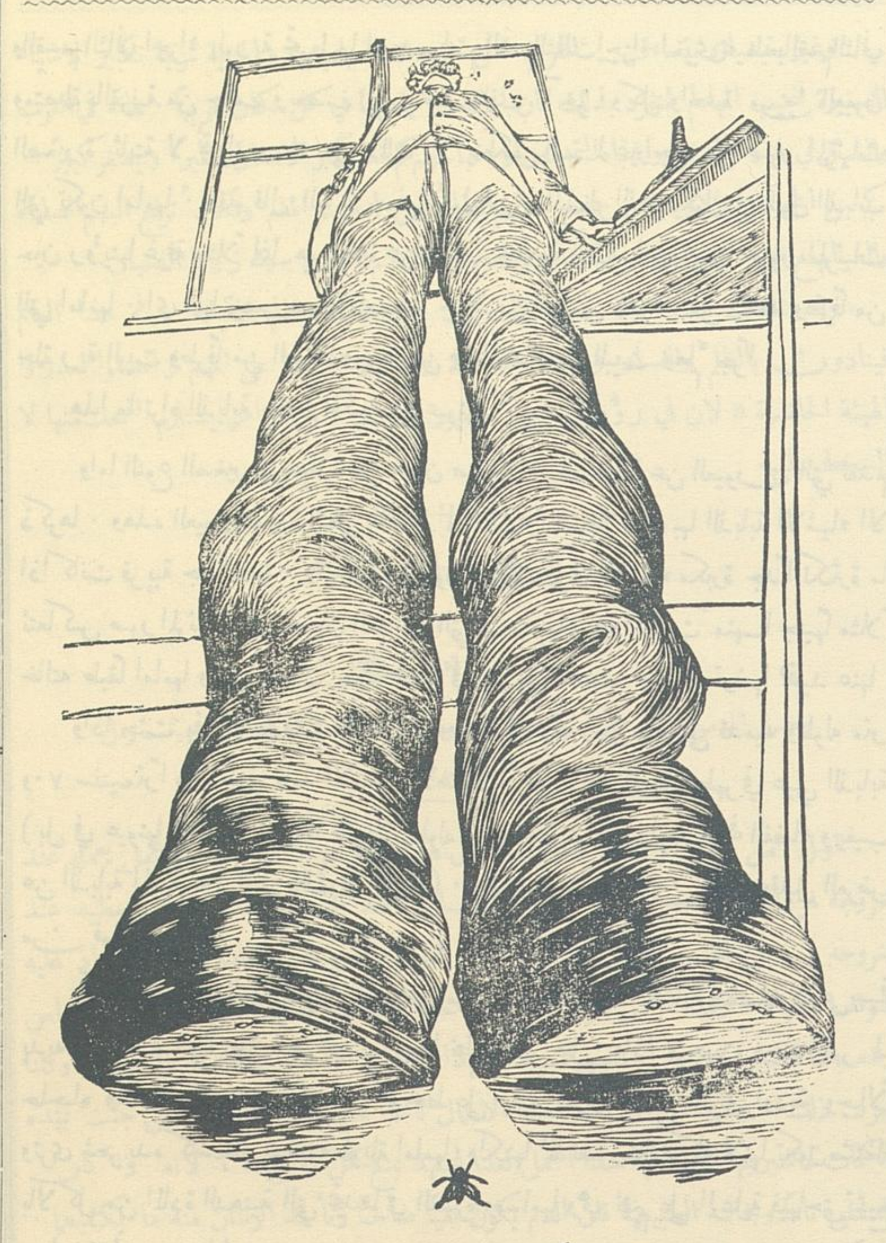
﴿وغرائب عيون الناس﴾

قال الفيلسوف ارنست رنان في رده على غلاة الماديين : لو كانت الميكروبات التي يربيها العلماء في زجاجات خصوصية تعقل وتتفاهم وجاء بعض منها يقول لبعض ان في الغرفة التي هي نقيم على احد رفوفها اناساً حجم الواحد منهم مضاعف حجمها مئات ملايين من المرات وخارج الغرفة ممالك وقارات واسعة تسير بينها السفن في البر والبحر · اكانت تصدقه ؟ كلا لا تصدقه لانها لم تنظر ذلك بعينيها بل تحسب العالم كله زجاجتها التي تعيش فيها · وكذلك الانسان

ونحن تأييداً لهذا القول لا نسهب في الكلام على كل ما يجهله الانسان من عجائب الكون الذي يراه والذي لا يراه بل نكتفي بنشر شيء عن « عيون الذباب » هذه الحيوانات الكريهة التي نراها الف مرة في النهار · فان القارئ متى راى ما في هذه الحيوانات من الغرائب لبث مبهوتاً وقال مع رنان : ان الانسان صغير جداً بالقياس الى الكون فليس من العقل ان ينكر ما لا يفهمه عقله القاصر

وللذباب نوعان من العيون احدها النوع الكبير وهو مركب في جانبي راسها واحدها النوع الصغير وهو مركب بشكل مثلث في قمة راسها

اما العيون الكبيرة فلكل ذبابة منها عينان · وكل واحدة من هاتين العينين مؤلفة من عيون صغيرة جداً يساوي حجم الواحدة منها جزءاً من الف جزء من الاصبع في القسم الاعلى وجزءاً من الفي جزء من الاصبع في القسم السفلي · واما عدد هذه العيون الصغيرة التي تتالف منها العينان الكبيرتان فانه يبلغ ٤ الاف عين · وكل واحدة من العيون الصغيرة عين مستقلة بنفسها وهي مؤلفة مع صغرها من ثلاثة اقسام · القسم الاول القرنية



(كيف تنظر الذبابة الانسان)

اذا وضعتَ ذبابة وراء رجل معتدل القامة فان الرجل يظهر في عيني الذبابة ماردًا طويلاً عريضًا كانّ طوله ٧٠٠ متر ويتوارى راسه عنها في الفضاء

والقسم الثاني اجزاءٌ بلورية تحيطبها اوعدسيات والقسم الثالث اجزاء اخرى محيطة بالقسم الثاني ومتصلة بالقرنية من جانب وبعصب البصر من جانب آخر . وكل واحدة من العيون الصغيرة ثابتة لا تتحرك وبناءٌ على ذلك فلا ينعكس اليها غير جزءٍ من صور المرئيات التي تكون امامها . وقد قال العالم جونس مولران المنظر الذي يكون في عيون الذباب حين رؤيتها غرفة مثلاً انما هو عبارة عن متحف مجتمعة فيه اجزاءٌ من صور المرئيات التي امامها . اي انها تبصر بعيونها العديدة جزءًا من الكرسي وجزءًا من المقعد وطرفًا من حلة ربة البيت وطرفًا من البساط وجزءًا من حذاء صاحب البيت وهلمَّ جرًّا

هذا ما تراه الذبابة بالنوع الكبير من عيونها

واما النوع الصغير فهو عبارة عن عيون صغيرة اخرى مختلفة عن العيون التي تقدم ذكرها . وهذه العيون قصيرة النظر بالنسبة الى تلك ولذلك فلا ترى بها الذبابة الاشياء الا اذا كانت قريبة جدًّا منها . وهي بهذه العيون وبتلك ترى الاشياء مكبرة جدًّا لكثرة ما تتعاكس صور المرئيات الى العيون العديدة التي في راسها . فاذا ادنيتَ منها جنيهًا مثلاً خالته طبقًا امامها واذا وضعتَ حبة حمص في طريقها حسبتها جبلاً يعترضها فتحيد عنها

واذا جئتَ بذبابة علوها ٤ مليمترات ووضعتها وراء رجل قائم على قدميه وطوله متر و٧٠ سنتيمترًا وهو طول قامة الانسان الاعتيادية فان ذلك الرجل يظهر في عيني الذبابة (بل في عيونها) ماردًا عريضًا طويلاً طوله ٧٠٠ متر يتوارى راسه في الفضاء ويغيب عن الذبابة المسكينة (انظر ذلك في الرسم) . وهي تراه عريضًا من تحت وقليل العرض من فوق

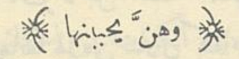
ولكنَّ في هذا المارد الطويل العريض مرعى خصيبًا لذيذًا للذبابة فتقصده لترعى في يديه وفي رقبته . ولما تطير اليه تحسب انها تطير الى جبل . واذا واجهتْ وجهه ظهر لها حاجباه وشارباه كاحراش كثيفة . ثم تحط على يده فترى في بشرته اودية وجبالاً وترى شعر يده كاشجار ضخمة طويلة امامها . ولكنها قلما تعبأُ بذلك كله لانها تكون مشتغلة بالاكل من المادة الدهنية التي تجدها في البشرة ومسامها وهي تقيم على الرعاية فيها حتى تشبع منها فتنزل عن جبلها

فمن من القراء كان يظن ان هذه الحالة هي حالة هذه الهوام التي نراها في كل يوم . لا ريب في ان الكون لا يزال خزانة غرائب وعجائب وما علمه الانسان منها ليس في الحقيقة سوى جزءٍ مما لم يصل اليه علمه بعد

وغير بعيد ان يتساءل القراء هل تفردت الذباب بهذه المزية مزية تكبير الاشياء الصغيرة فنجيب انها لم تتفرد بذلك فان الانسان يشبهها في كل مكان تقريباً . فانه في الغرب والشرق في بلاد المتمدنين واشباه المتمدنين او احباحهم كم قد يكبر الانسان صغيراً و يصغر كبيراً . كم من الجهلاء والاردياء في جميع اقطار العالم تُحنى امامهم الهام وتكاد تُرفع اليهم الصلاة والصيام مع ان كثيرين من افاضل الناس وعقلائهم مهملون في زوايا النسيان .

وقد تُغضب هذه الحالة بعض الذين لم يتعودوا مظالم المعيشة في هذا العالم فينادون بالظلم والفساد وسقوط الفضيلة وانتصار الرذيلة على انهم لو انصفوا لعذروا الهيئة الحاضرة « لان في رؤُوسها عيوناً كعيون الذباب » وذلك امر يستلزم الضحك منها لا السخط عليها

آلة تقتل النساء



﴿ وهنَّ يحببنها ﴾

لحضرة المدموازل روزا انطون ناظرة مدرسة البنات الاميركية في الابراهيمية — رمل الاسكندرية

اول عمل يعمله الانسان عند دخوله الى هذا العالم هو التنفس وآخر عمل يعمله عند خروجه من العالم التنفس ايضاً . اي ان الانسان يأخذ النَفَس عند دخوله ويعطيه عند خروجه . وبين النفس الاول والنفس الثاني عمل مستديم يجب اتمامه بكل دقة اذ عليه تتوقف الحياة . وهذا العمل هو التنفس او حسن التنفس الذي كثيراً ما يهمله الناس وخصوصاً السيدات . ولم اخصص السيدات بهذا الاهمال الا بعد مشاهدته بالعيان وكانا نعرف ذلك . وخوفاً من ان يكون هذا الاهمال ناشئاً عن جهلنا اهمية التنفس جئتُ بهذه الكلمات لاشير بها الى اهمية هذا العمل لعلنا نجتهد بمنع كل ما يعيقه . لانه اذا كان التنفس تاماً وبحالته الطبيعية فان الدم يكون نقياً صالحاً وتأخذ الرئتان منه ما يكفيهما . وبالعكس اذا اعيق التنفس فانه يحدث خللٌ في الدورة الدموية واضطراب في جسم الانسان واخلاقه معاً

ولقد يستغرب بعض البسطاء علاقة الاخلاق بالتنفس ولكن بما ان هذا عمل حسي فامتحنيه بنفسك فان ذلك يغنيني عن البرهان

مثلاً عند ما تشتغلين وقتاً طويلاً بعمل ما كالخياطة او التطريز فانك قد تشعرين بضجر وقلق وهو ما يسميه العامة « ضيق الروح او الزهق » وربما تعثرت الآلة التي بيدك فتزدادين ضجراً حتى لقد يفضي بك الامر الى البكاء اذا كنتِ من سريعات الانفعال دون ان تعرفي سبباً لبكائك . لكن اتركي العمل برهة واذهبي الى حيث يمكنك استنشاق الهواء النقي ملء رئتيك ثم ارجعي الى عملك تجدي ان الآلة قد اصطلحت وصار الشغل في يدكِ سهلاً مع انه لم يتغير شيء لا في الشغل ولا في الآلة . وانما انتظم عمل التنفس عندك فرجع صبرك ونشاطك

هذا من جهة تاثير حسن التنفس على الاخلاق اما من جهة تاثيره على الصحة فمعلوم عند الجميع فانه يمكننا ان نعيش اياماً بغير طعام ولكننا لا نستطيع ان نعيش دقيقة واحدة بغير تنفس . وذلك لان بنية الانسان بمثابة الآلة البخارية والغذاء والهواء بمثابة الفحم والهواء . فكما ان الفحم من غير هواء لا يعمل عمله فكذلك الغذاء بغير هواء . فكيف يتمكن الجسم من اخذ هواء كافٍ لاجل الغذاء الذي اتخذه مع وجود ذلك الحارس الجائر ضاغطاً على اعضاء التنفس ومانعاً لها من تناول كفاءتها من الهواء

وهذا الحارس الجائر هو (وبئس من هو) المشد او الكورسه الذي عليه مدار كلامي في هذا الفصل

ولا اقول الكورسه فقط بل كل ما يضغط على الاعضاء (كالزنانير) (والياقات) (والجوانتي) (والمراكيب) (ورباطات الجرابات) كل هذه موانع تعيق الدورة الدموية ولكني اترك الكل واتكلم عن شيخها الكبير (الكورسه) لانه قابض على الاعضاء الرئيسة في الجسم . ولم ارَ في حياتي شيخاً محبوباً كهذا الشيخ ولاسيما من السيدات

والذي . دعاني الى هذا الموضوع ما قراته في بعض الاخبار الاخيرة من ان كثيرات من نساء بلجيكا رفعن عريضة الى وزير المعارف يسألنه فيها منع بنات المدارس من لبس الكورسه . وقد وافقت على هذه العريضة قرينة ولي عهد بلجيكا ووقعت عليها مع النساء الموقعات . وفضلاً عن ذلك فان حوادث الكورسه صارت كثيرة بيننا واضراره اكثر من ان تُحصى ولكن السيدات من شدة حبهن له لا ينظرن الى عيوبه بل ينكرن مضايقته لهن فيقلن انني استطيع ادخال يدي بين المشد وجسمي . نعم انك تقدرين على ادخال يدك انما ذلك يكون بواسطة افراغ اعضاء التنفس من الهواء . والاخرى تقول ما انا اشده ولا يضايقني ولكن لحضرتها اقول ان العادة طبيعة . ولو علمتْ كم ضايقها للمرة الاولى التي شدته

بها لما قالت هذا القول

واذكركِ ايضاً ايتها العزيزة ان الكورسه لا يعيق التنفس فقط بل يعيق عمل القلب ايضاً ويُسرع نبضه فيتعبه في يوم واحد اكثر من تعبه عشرة ايام بدونه . مثال ذلك ما جربه الاستاذ سرجن اذ طلب من بعض الفتيات ان يجرين مسافة بلباسهن الطبيعي اي من غير كورسه وفي اليوم الثاني البسهن الكورسه وجعلهن يجرين ذات المسافة فوجد قلبهن ينبض ١٢ نبضة زيادة عن المرة الاولى وهذا من اسباب تقصير الحياة

والضرر الآخر واقع في الكليتين فان كثيرين يتوهمون ان الكليتين متحررتان من هذه العبودية لوجودهما في اسفل الظهر ولكن هذا خطأ فان الكليتين واقعتان تحت الاضلع القصيرة حيث يصلها ضغط المشد فيحدث مرض الكلى من جراء ذلك

وكذلك الكبد اذ تنحرف عن محلها انحرافاً مهماً وتنشطر بسبب الضغط شطرين يصل بعضهما ببعض نسيج رفيع يمنعهما من الانقطاع . ألا م بعد هذا اذا سميت المشدّ آلة للقتل (١)

وماذا اقول في المعدة التي يمنع الكورسه من اعطائها كفاءتهـا من الغذاء والتي اذا كان فيها غذاؤها ولُبس الكورسه فوقه احدث اضطراباً في الجسم كله واخرج الغذاء من سوء الحظ من حيث نزل . .

وليس للكورسه تاثير صحي فقط بل له تاثير ادبي اولاً من حيث اخلاق الابنة وثانياً من حيث ما يسمونه الجمال . اما من حيث الاخلاق فان الكورسه يسبب خللاً في الدورة الدموية كما ذكرت فينشيء ذلك انحلالاً في الجسم يصحبه برد في الاطراف والم في الراس ومتى استمرّ هذا الامر انتهى الى ضعف عام في الجسم وهذا الضعف يُنتج حدة وضيقة صدر قد تنتهيان الى ما يسمونه المالانخوليه فضلاً عن شدة تهيج اعصاب السيدات وذلك مما يكون سيء التاثير على اخلاقهن . واما من حيث الضرر الذي يصيب جمال السيدات فانه من المعلوم ان الجمال عنوان صحة الجسم ولا جمال حقيقي من غير صحة حقيقية . فاذا كان الكورسه يهدم صحة المرأة فهو بحكم الطبع يهدم جمالها ايضاً . فلتفتكر بذلك السيدات اللواتي يؤثرن الجمال على الصحـة ويحسبن ان الكورسه ينفع الاول وان كان يضر بالثانيـة

---

(١) ﴿ الجامعة ﴾ انظر الاعضاء الرئيسة في الجسم الانساني في باب «مبادئ علمية عامية» وتصور مبلغ الضرر الذي يصيبها من الضغط عليها

ومع ذلك فاذا كان من راي البعض ان الكورسه « يجمّل » لابسته فليس ذلك من راي الجميع

نظر احد مشاهير النقاشين الى فتاة لابسة مشدّا وكان خصرها اجمل ما يمكن تصوره عند بنات هذا الزمان . ولو اتت الاسكندرية لانهال الثناء عليها من كل الجهات . فبينما هو يتامل فيها قال له احد اصدقائه ارايت ياصديق اجمل من هذه الصورة ؟ فشرف ازميلك بنقش تمثالها . فاجاب النقاش « اما تراني انظر اليها بدقة . فانني اتامل وافتش عن المحل الذي وضعت فيه كبدها ورئتيها ومعدتها لاجده . كلا انا لا اريد ان اخلد بازميلي تمثال فتاة هذا العصر لئلا اجعل الناس في العصور المستقبلة يغلطون ويتوهمون ان الله خلق الفتاة في زماننا هذا بشكل غير الشكل الذي سيكون لها في القرون المستقبلة » . وقد قصد هذا النقاش بقوله هذا ان العالم سيتقدم وسيفتكرون في المستقبل بالمشد كما نفتكر نحن الآن بشد قدم فتاة الصين

وبمناسبة ذكر فتاة الصين فانني ابدي رايًا بهذا الشان . فانني افضل ان تشد الابنة قدمها على الطريقة الصينية على شد خصرها على الطريقة الاوربية لان القدم عضو غير عامل في الحياة بل قد يُستغنى عنها احيانًا اذا المّ بهـا مرض . اما الخصر والصدر ففيهما الاعضاء الرئيسة فمن الضرر العظيم شدهما . ولا اعلم لماذا نستقبح شد الصينيين اقدام بناتهم ونسائهم لتصغيرها ونستحسن شد خصور النساء والبنات عندنا

وقد ذكرت الى الآن مضار الكورسه فيجب ان اذكر منافعه ايضًا . فانهم يقولون ان لهذه الآلة القاتلة (التي تقتل بالتدريج لا دفعة واحدة) منافع كما لها مضار . ومن منافعها عندهم او عندهنّ انها تعطي « كسماً » لصدر المرأة واذا كانت الابنـة او السيدة مائلة القوام الى الامام او بعبارة فصيحة محنية الظهر قليلاً فان الكورسه يصلح هذا الخلل ويجعل قامة المراة « كالالف » كما تقول الجامعة . ولذلك لم يقدر العلماء والفلاسفـة على ابطال الكورسه مع كثرة ما نادوا بوجوب ابطاله من ايام بلتنر ومونتاني وو ينسلو وروسو وكروفلبير وسومرنغ . اما انا فاني لا ارى هذه المنفعة الصغيرة مساوية لمضرة الضغط على الاعضاء الرئيسة التي منها الحياة . ولكني اعرف منفعة للكورسه جديدة لم يذكرها انصاره وهي الاقتصاد في الغذاء فانه يمنع الفتاة من اخذ كفايتها منه وهكذا تخفف النفقات

تلك هي منافع الكورسه ومضاره فتحكم العاقلات في ذلك فان على حكمهن الاعتماد

العمران والفحم الحجري

كل من اشرف على رصيف بور سعيد من السفن القادمة اليها لاحت له من بعيد على الرصيف اشخاص عديدة سود الوجوه والثياب وهي تتحرك حركات عنيفة رواحاً ومجيئاً وتعمل بشيء بين يديها . فيخيل له لاول وهلة ان هذه الاشخاص من نوع جديد من البشر لم يذكره علماء الانسان في ما ذكروه . ولكنه متى نزل الى البر وشاهدهم عن قرب علم انهم بشر من جنسه ونوعه واذا كان قد قرأ الحكيم لابروبير فانه يذكر ولا شك ما قاله عن فلاحي بلاده في ذلك الزمان وهو : ان المشرف على الحقول يجد فيها حيوانات سوداً محنية الى الارض وهي تمشي وتعمل على الاربع ولا يعرف الناظر انها بشرٌ الا متى خطر لها ان تستريح قليلاً فتنهض قائمة على القدمين

وقد يكون بين اولئك الفلاحين التعساء الذين وصفهم لابروبير ذلك الوصف الذي صار مثلاً في اوروبا كلها حتى صار يكفي ان يُقال « فلاحو لابروبير » فيعلم السامع ان المقصود بذلك فلاحون من اقصى درجات التعاسة والشقاء — وبين اشخاص بورسعيد الذين نحن في صددهم الآن شبه كبير . فان الاولين يعملون في الارض ام الثروة والخيرات والآخرين يعملون في ما يصح ان يسمى مادة التمدن والعمران وهو الفحم الحجري

وغير غريب ان يعمل هذان الفريقان في اثمن شيء في العالم و يكونا افقر الناس لانهم انما هم اجراء يعملون وغيرهم يجنون

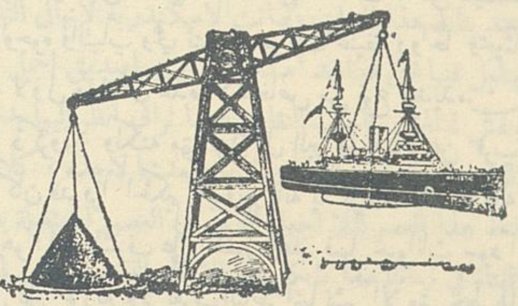
وغير غريب ان تحسن احوال فلاحي لابروبير في اوروبا تحسناً كسر قيود استعبادهم وصيرهم سلاطين على حكامهم لانهم ينصبونهم و يخلعونهم باقتراعهم مع ان التعساء في بلادنا لا يزالون في تعاستهم . فان الشقاء مكتوب لنا ولا مفرّ مما هو مكتوب

ولكن الغريب ان يثبت تمدن كهذا التمدن الذي عشر معشار اهله يتنعمون والباقون يشقون .

ولقد خشي عليه الناس منذ مدة من السقوط في مستقبل الزمان لاسباب عديدة اهمها نفاد الفحم الحجري من الارض . وكان اكثر الخوف في انكلترا لانه اذا نفد الفحم من بلاد الانكليز وقفت مصانعها ومزارعها ومتاجرها وخربت البلاد في سنة واحدة . ولذلك ألّف البرلمان الانكليزي منذ نحو ثلاثين عاماً لجنة لفحص مناجم الفحم في انكلترا فوضعت هذه اللجنة تقريراً ملخصه ان في مناجم الفحم ٩٠ الف مليون طن ناضجة و٥٦ الف مليون طن

تحتها غير ناضجة ولكن يمكن استخراجها حين الحاجة

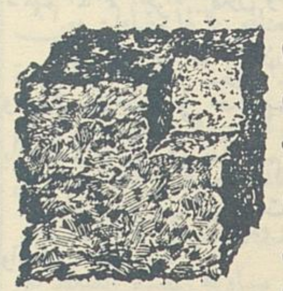
ومعلوم ان عدد عملة الفحم في انكلترا ٧٣٣ الفاً وكل واحد منهم يعمل ثماني ساعات في اليوم فقط (كما قرر البرلمان الانكليزي حديثاً) فاذا كان كل عامل يستخرج في كل يوم طناً واحداً فيكون مجموع المستخرج في اليوم ٧٣٣ الف طن وفي كل عشر دقائق اكثر من ١٥ الف طن فضع هذا المقدار (١٥ الف طن) في كفة ميزان وضع دارعة «ماجستيك» الانكليزية في كفة اخرى يرجح الفحم الحجري المستخرج من المناجم الانكليزية في عشر دقائق فقط على وزن دارعة ماجستيك لانها لا تزن اكثر من ١٤٩٠٠ طن .



المستخرج من الفحم الحجري في عشر دقائق في انكلترا
اثقل وزناً من دارعة ماجستك

واذا شئت ان تعرف بالنظر مقدار الفحم الحجري الموجود في مناجم انكلترا ومقدار ما يُستخرج منه فانظر الى الرسم الثاني . فان القطعة كلها تمثل الموجود من الفحم في جميع المناجم والتجويف الكائن في يسار الرسم من فوق يمثل المقدار الذي يؤخذ من هذا الفحم في كل ثلاثين سنة . فبناء عليه لا ينقضي قرنان او ثلاثة حتى ينفد الفحم من المناجم الانكليزية

ولكن اذا نفد الفحم من المناجم الانكليزية فان المناجم الاميركية تكفي الناس طويلاً واذا نفد الفحم من هذه المناجم ففي الصين والهند وغيرها من البلاد اراض كثيرة تُكتشف مناجم الفحم فيها وهب ان الفحم نفد من الارض كلها فان العلم يؤلف مادة تقوم مقامه . وقد اخذ الآن كثيرون من الباحثين يبحثون في صنع الفحم من فضول المنازل (الزبالة) فيكون رخيص الثمن ومولداً للحرارة كالفحم الحجري . فاذا نجحوا فازوا والا فان الانسان يلتفت حينئذ الى ما تصوره



كمية الفحم الموجودة في مناجم انكلترا . والتجويف الذي فيها عبارة عن المستخرج منها في كل ٣٠ عاماً

اميل زولا في احدى رواياته وهو خزن حرارة الشمس واتخاذها بديلاً من الفحم . قال زولا . ان الشمس التي كانت امنا في البداية ستكون امنا ومغذيتنا في النهاية . فان الانسان

سيتوصل بعلمه الى خزن حرارتها الذاهبة طول النهار ضياعاً ثم يفرق منها على المنازل والمصانع والمعامل فتغنيها عن كل وقود . وقد شرعوا منذ الآن يجربون خزن حرارة الشمس وعندهم آلات خاصة بذلك

فلا خوف اذاً على التمدن الحالي من السقوط بسبب الفحم الحجري لان للعالم ملاكاً يحفظه ويرشده . فعسى ان يتمَّ نعمته عليه ويرشده في الحياة الادبية كما يرشده في الحياة المادية

اما المستخرج في جميع اقطار العالم من الفحم الحجري في كل عام فانه يبلغ ٦٤٤ مليون طن وهذا بيانه

	مليون طن		مليون طن
من اميركا	٢١٨	من كندا	٤
« انكلترا	٢١٢	« الهند	٤
« المانيا	١١٠	« اوستراليا	٦
باقي اوروبا	٨٢	الترنسفال واورانج	١ ونصف

وكل هذه الامم تستهلك كل فحمها في داخليتها الا اميركا وانكلترا والمانيا فانها تصدر منه الى الخارج . ويبلغ ما تصدره انكلترا منه في العام ٤٤ مليون طن منها ٤٢ مليوناً ونصف الى روسيا وفرنسا والمانيا واسوج ونروج والدانمرك وهولانده وبلجيكا والبرتغال والشرق والباقي لمستعمراتها . واما اميركا فانها تصدر اكثر من ذلك . وكثيرون يفضلون الفحم الاميركي على الفحم الانكليزي بحجة انه اصلب مادة واشد حرارة

ومما هو جدير بالذكر في ختام المقال ان الرسوم الجديدة التي وضعتها الحكومة الانكليزية في هذا العام على صادرات الفحم من بلادها لم تقلل كمية الصادرات لشدة الحاجة الى الفحم في كل مكان ولا سيما بسبب حرب الصين والترنسفال . وقد غلت اسعار الفحم في العامين الماضيين غلوّاً غلت معه اسعار كل ماديات المعيشة حتى هذا الورق الذي نكتب عليه هذه المقالة لانه لا يُصنع بدونه . وهذا معنى قولنا ان الفحم الحجري صار مادة العمران وقوامه

هدية لمشتركي الجامعة

كتاب الكوخ الهندي تاليف الكاتب الخالد الاسم (برناردين دي سان بيير)
مطبوع طبعاً متقناً على ورق جيد جداً وفي صدره رسم المؤلف وترجمته
مطولة وتتخلله رسوم كثيرة تشرح مبادئه الفلسفية والفكاهية
شرحاً يزيد الموضوع طلاوة وفائدة

ما كدنا نفرغ من طبع هذا الكتاب على ما وعدنا به في الجزء الماضي حتى بعث الينا بعض القراء الذين لا يُردُّ لهم طلب يقترحون علينا ان نهدي هذا الكتاب الى مشتركي الجامعة ومساعديها . فترددنا في بدء الامر لاننا لم نطبع منه بقدر عدد المشتركين ولكننا عدنا واجبناهم الى طلبهم ارضاء لقرائنا الكرام فانَّ كل شيءٍ يهون علينا في سبيل رضائهم

ولكن لما كان عدد النسخ المطبوعة من هذا الكتاب ينقص عن عدد مشتركي الجامعة فاننا عزمنا على ان نهبه للذين يسبقون في طلبه ومتى نفد من الادارة تعذَّر علينا ان نهب غيره للطالبين الا اذا كانوا يقبلون احدى الروايات الاعتيادية التي في مكتبة الجامعة . و بناء عليه فكل من يرغب في اقتناء « الكوخ الهندي » مجاناً يجب عليه ان يُسرع في طلبه من الادارة راساً او من وكلائها في الجهات فيرسل اليه في الحال . وغنيٌّ عن البيان ان كل من يطلبه يجب ان يكون مسدداً ما عليه من بدل الاشتراك حتى نهاية السنة الثالثة والمشتركون من جديد يحصلون عليه بدفعهم بدل الاشتراك . والذين دفعوا بدل السنتين الماضيتين يدفعون بدل السنة الثالثة للحصول عليه

وقد صدرنا الكتاب برسم مؤلفه برناردين وترجمته مطولة وفي ختامها الكلمة التالية .

« ولقد عرَّفنا الى الآن قراء اللغة العربية بمبادىء رجلين من اقطاب الادب والفلسفة في العالم وهما الفيلسوف جول سيمون والكونت لاون تولستوي . فيسرنا الآن ان نعرفهم بمبادىء كاتب ثالث هي ارقُّ واعذب من مبادىء الفيلسوفين اللذين تقدم ذكرهما وان لم تكن اعظم منها . وقد اخترنا نشر هذه المبادىء الادبية الفلسفية الجميلة على غيرها من المبادىء العلمية او التاريخية لاننا نرى الحركة الادبية والحالة الاجتماعية محتاجة اليها والقراء في جميع الاقطار اكثر ميلاً اليها منهم الى سواها . فعسى ان ينتفع بها طلابها »

ويلي الترجمة تمنٍّ تمنيناه في صفحة خاصة وهذا نصه

« نتمنى ان لا تخلو مكتبة من هذا الكتاب



﴿ الدكتور الانكليزي سائر الى هيكل راس البراهمة في محمل على اكتاف ﴾
﴿ الرجال . وهي الطريقة التي كان يسافر بها في الهند اكابر الهنود والاجانب ﴾
﴿ قبل استيلاء الانكليز عليها وانشاء السكك الحديدية فيها ﴾



﴿ الدكتور يناظر راس البراهمة وهو جالس في الوسط بين الدراويش والبراهمة عاري ﴾
﴿ الراس والقدمين ولا لباس عليه غير الغطاء القطني لان من يروم مقابلة البراهمة يجب ﴾
﴿ ان يتجرد من كل اثر للحيوان و يغتسل ثلاث مرات في نهر الكنج ليطهر من دنسه ﴾

« وان يضع كل معلم وكل معلمة في يد كل تلميذ وكل تلميذة نسخة منه بعد قراءته في ساعة الدرس وشرح مبادئه

« وان تضعه كل امرءٍ في خزانة ابنتها بين مواد زينتها

« وان يقع في ايدي جميع العقلاء الذين يطلبون الفائدة و يطربهم صوت الفضيلة

ولا ريب عندنا ان كل من يطالعه بامعان وتروٍّ يشعر بعد مطالعته بانه صار افضل وارقى منه قبل مطالعته و يرى على الورق شيئاً من مبادىء الحقيقة والفضيلة والاخاء والعظمة الحقيقية التي قلما يرى منها شيئاً في هذا العالم »

اما الرسوم العديدة التي نشرناها في « الكوخ الهندي » فقد نشرنا في هذا الفصل مثالاً منها

﴿ كتاب عمر الى اهل بيت المقدس ﴾

ذكرنا في مقالة « سوريا وفلسطين » في الجزء الماضي ما ذكرناه عن العهد الذي اعطاه عمر بن الخطاب (رضه) الى اهل بيت المقدس وقد بعث الينا بعض الاصدقاء بصورة كتاب يقول انه كتاب الامام عمر وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما اعطى عبدالله بن عمر امير المؤمنين اهل ايليا (يعني بيت المقدس) من الامان امانًا لانفسهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها و برها وسائر ملتها ان لا تُسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقض منها ولا من صلبانهم ولا شيء من اموالهم ولا يُكرهون على دينهم ولا يضار احد منهم ولا يسكن ايليا احد من اليهود وعلى اهل ايليا ان يعطوا الجزية كما اعطوا اهل المدائن وعليهم ان يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن اقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن احب من ايليا ان يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعتهم وصليبهم فانهم آمنون على انفسهم وعلى بيعتهم وعلى صليبهم حتى يبلغوا مامنهم ومن كان فيها من اهل الارض فمن شاء قعد وعليه مثل ما على اهل ايليا من الجزية ومن شاء رجع الى ارضه وان لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين اذا اعطوا الذي عليهم من الجزية

شهد على ذلك من الصحابة رضي الله عنهم خالد بن الوليد . وعمرو بن العاص . وعبد الرحمن بن العفو . ومعاوية ابن ابي سفيان

مبادىء علمية عامية

ننشر في هذا الباب مبادىء علمية عامية مما يجب نشره بين الناس ولا سيما عامة الشعب وهي في غاية البساطة والسهولة

كيف يتغذى الانسان

اول ما اخذنا ننظر في فتح بابين جديدين في سنة الجامعة الجديدة خطر لنا في الحال وجوب فتح باب « لآثار الشرق القديمة » وباب « لنشر مبادىء علمية عامية » ففتحنا هذين البابين وجعلناهما من ابواب المجلة المهمة اي من الابواب التي لا يخلو منها جزء من الجامعة .

اما باب « آثار الشرق القديمة » فننشر فيه بالتتابع ما يفيد وتلذ مطالعته من الآثار المصرية والسورية واللبنانية والهندية والفارسية وغيرها من الامم القديمة مشفوعاً بالرسوم التي تزيد في فائدتها كما يرى القراء في هذا الجزء . هذا فضلاً عن الآثار الشرقية التي تُكتشف في مصر وما بين النهرين وبعلبك والاناضول وغيرها مما يُتيح معه للابناء ان يقفوا على مخلفات الآباء وآثار مجدهم .

واما باب « مبادىء علمية عامية » فننشر فيه باسلوب في غاية البساطة والوضوح كل ما يهم عامة الناس نشره ويفيدهم الاطلاع عليه . فانك اذا سألت كثيرين من عامة الناس حتى خاصتهم وتلامذة المدارس ايضاً كيف تأكل ويغذيك الطعام . وما سبب نزول ماء المطر . ولماذا تعوم السفينة في البحر ولا تغرق كما يغرق الحجر . وماذا يوجد تحت الارض او فوق رؤوسنا في السماء . ولماذا تقذف الحجر بكل قوتك في الجو فيعود الى الارض بدل استمراره في الصعود في الفضاء طوعاً للقوة التي انفذتها فيه . وما هي حقوقك التي لا يجوز لاحد ان يدوسها كبيراً كان او صغيراً حاكماً او غير حاكم . وما هي واجباتك التي لا يجوز ان تهمل شيئاً منها . وما يوجد في داخل جسمك من الاعضاء الرئيسة . وكيف تجب مداراة هذه الاعضاء . وما هي المبادىء الهجيينية الاولى التي يجب ان لا يخلو منها منزل — كل هذه الاسئلة اذا القيتها على بعض من العامة تعذر عليهم فهمها والجواب عليها . ومعلوم ان من يذكر عامة الناس في الشرق فانما يذكر تسعة اعشار الامة او اكثر من ذلك . فهل يحسن

ان تبقى تسعة اعشار الامة في جهل مدلهم كهذا الجهل

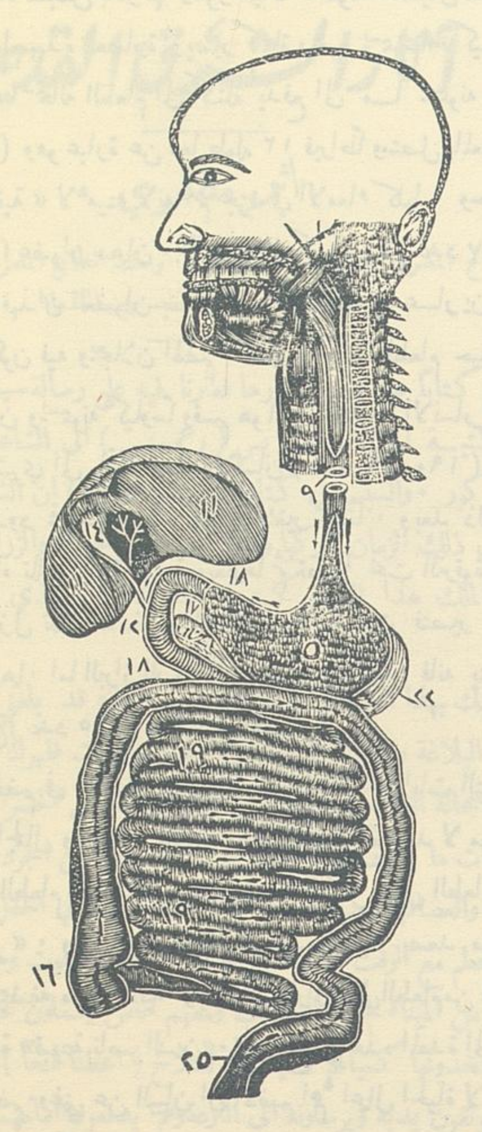
ان الجهل ريح صرصر تطفئ كل ذكاء ونشاط في نفوس الناس . والجاهل بمثابة ولد صغير قاصر وضعيف . اما قصوره فلانه يحسب كل الناس ارقى منه ويخاف ان يخطو خطوة في غير مكانها او يقول كلمة في غير محلها فينفضح امره . واما ضعفه فلانه لا يستطيع مجاراة الافوياء في هذه الحياة وينخلع قلبه خوفاً من اقل الطوارئ . فانه اذا رأى خيالاً في الليل حسب الجنَّ تتعرض له . واذا قال له الناس ان الحمير تطير والطيور تتحول في شهر اغسطس الى حمير فانه قد يصدقهم لغباوته . وهكذا يمتلئ دماغه خرافات واوهاماً لعدم معرفته بشيء من نواميس الطبيعة ونظام هذه الحياة فيجبن ويضعف ويصير كما نراه الآن في الشوارع والاسواق . اما اذا كان واقفاً على شيء من ذلك ومدركاً نواميس الحياة فانه يكون قوياً مقداماً ليس للوهم سلطان على نفسه ولا يخشى حينئذٍ في هذه الحياة شيئاً غير سقوط قبة السماء على رأسه كما كان يقول الفرنك سكان فرنسا القدماء

ولا نجهل ان تبديد هذا الجهل انما هو من شؤون المدارس والتعليم الالزامي ولكننا نعتقد ان المجلات والجرائد تستطيع ان تؤثر من هذا الوجه تاثيراً مفيداً ولذلك فتحنا باب « المبادئ العلمية العامية » الذي نرجو ان يكون لعامة القراء مورد حقائق في غاية البساطة والسهولة كما ان باقي ابواب المجلة مورد لخاصتهم . وسنبدأ في هذا الجزء بوصف الصق شيء بالانسان وهو « كيف يأكل ويتغذى »

ولا نبحث في هذا الفصل في شروط التغذية ولا في المواد اللازمة للغذاء ولكن في طريقة التغذية . فانك تتناول لقمة الطعام من المائدة وتضعها في فيك فتطحنها قليلاً او كثيراً باضراسك واسنانك ثم تبتلعها وتقذفها الى داخلك . فماذا يحدث لها في الداخل . وكيف تتحول من خبز ولحم وطماطم وبطاطس وارز وسمك وحلوى وغيرها الى دم يدور في جسمك .

يستلزم هذا الامر عدة تغيرات وتتعاون عليه عدة اعضاء وهي الاسنان والغدد اللعابية والمعدة والامعاء والاوعية اللبنية والقناة الصدرية (انظر الرسم)

فان الاسنان تمضغ الطعام ومن الواجب ان تطحنه جيداً ليسهل هضمه على المعدة . وبينما تكون الاسنان مشتغلة بهضم الطعام تتهيج الغدد اللعابية (اي يشط ريق الانسان كما يقول العامة) فيمتزج اللعاب الذي تفرزه (الريق) بالطعام ويبلله فيساعد الاسنان عليه ولما يتم مضغ الطعام ينزل من المرئ (انظر عدد ٩) الى المعدة (انظر عدد ٥) ولما



﴿ اعضاء الهضم ﴾ — (٩) المرئ الذي ينزل منه الطعام الى المعدة (٥)
المعدة (١٨ و١٨) الاثنى عشري (١٧) البنكرياس (١٤) كيس المرارة
(١٢) القناة التي تصب منها الصفراء من كيس المرارة الى الاثنى عشري (١١و١١)
الكبد (٣٢) الطحال (١٩و١٩) الامعاء الدقيقة (١٦) فتحة المعا الدقيق
في المعا الغليظ (٢٥) طرف المعا الغليظ ومنه يخرج براز الانسان

يستقر الطعام في المعدة تنقبض جدرانها وتفرز سيالاً يسمونه « السيال المعدي » او « العصارة المعدية » فيمتزج الطعام بهذه العصارة ويصير كتلة رخوة يسمونها « كيموساً » ونسميها هنا كتلة الطعام . وبعد استحالة الطعام الى كتلة يُدفع الى ما يسمونه « الاثنى عشري » (انظر عدد ١٨ و١٨) وهو عبارة عن معا طوله ١٢ قيراطاً ومتصل بالمعدة من فتحتها السفلى ويسمونه « المعدة الثانية » لاهميته لانه اهم جزء في الامعاء كلها . وحول الاثنى عشري (انظر عدد ١٧ و١٤) عضوان مهمان . الاول « البنكرياس » (عدد ١٧) والثاني كيس المرارة (عدد ١٤) فهذان العضوان يصبان في الاثنى عشري عصارين يزيدان في تغيير كتلة الطعام التي تكون فيه ويعجلان الهضم . فتنقسم كتلة الطعام حينئذٍ الى قسمين . قسم يكون شبيهاً باللبن ويسمونه كيلوساً وقسم هو البراز او فرث الانسان . ثم يمر الكيلوس والفرث من الاثنى عشري الى باقي امعاء الانسان (عدد ١٩ و١٩) وذلك بحركة دودية اي شبيهة بالتواء الدود في سيرها . وهناك يتغير ايضاً . وبعد ذلك تمتص الاوعية اللبنية المتصلة بالامعاء تلك المادة اللبنية وتغيرها ثم تصبها تحت الترقوة في جانب الانسان الايسر ومن هناك تنزل تلك المادة الى القلب مارة بالرئتين فتصير دماً اي يحمر لونها بتاثير الهواء الذي فيهما . اما البراز الذي كان معها في الامعاء فانه يندفع الى المعا الغليظ ويخرج منه من المخرج (عدد ٢٥) وبذلك يتم الهضم

هذا هو نظام الهضم في الانسان والحيوان تقريباً الا الحيوانات التي تاكل الاعشاب وتجترّ كالبقر والغنم والجمال وغيرها . فان لهذه الحيوانات اربع معد لا معدة واحدة . فالمعدة الاولى خزانة تقتبل الطعام وهي « الكرش » . وهذا الكرش يبلل الطعام ويدفعه الى معدة ثانية يسمونها « الشهر » . ومتى استقر الطعام في هذه المعدة يصعد منها الى الفم فيجتر الحيوان حينئذٍ اي يمضغه مضغة ثانية . وبعد الاجترار ينزل الطعام من الفم الى المعدة الثالثة وهي التي يسميها العامة « قبوعة ناصر الدين » . ثم يندفع من هذه المعدة الى المعدة الرابعة وهي القباوة وهناك يتم الهضم . وغني عن البيان ان الهضم اهمّ اعمال الحياة لان صحة جسم الانسان وصحة عقله متوقفتان عليه . وكثيراً ما اضطرب الهضم فاضطربت معه صحة الانسان واخلاقه كلها فصار ضيق الصدر كثير الهواجس ضعيف الرأي . وقبل ختام الكلام في هذا الفصل لا يسعنا الا الاشارة الى ما يصنعه بعض الاولاد احياناً فانهم يتنافسون بابتلاع بزر الخوخ والكمثري وغيره لينبت في بطونهم ويصير منه فيها الحدائق والبساتين .. ولا ريب انه امر مضحك ولكنه كثيراً ما ينقلب فيصبح مبكياً لسوء مصيره

آثار الشرق القديمة

اثر مصري

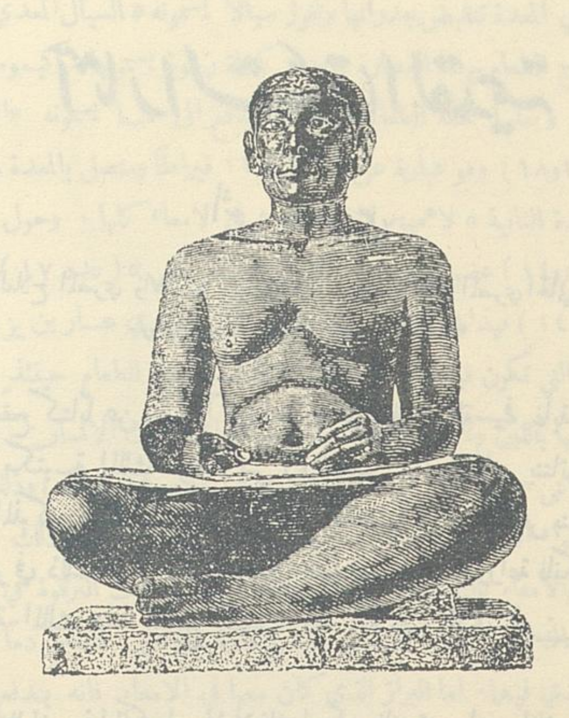
حالة الفلاح المصري والاديب المصري قديماً · وصف الفلاح المصري الحالي والقديم·
رسم اديب من ادباء المصريين القدماء

كنا نتصفح كتاباً عن مصر وآثارها فعثرنا فيه على رسالة في غاية الاهمية كتبها اميمان وكيل مكتبة الملك سروستريس (رعمسيس) الى الشاعر بنتاتور المصري احد شعراء الملك المذكور · والسبب في كتابة هذا الكتاب(١) ان الشاعر بنتاتور كره صناعة الادب والشعر في ذلك الزمان فتركها وعدل عنها الى الحراثة والزراعة فانكر صديقه اميمان وكيل مكتبة الملك هذا الصنع كتب اليه الكتاب الذي نحن في صدده · وهذه ترجمته

« يأتون اليك بهذا الكتاب لابلاغك امراً · فانه قد يلغني انك هجرت الآداب
« وابتعدت عن البلاغة والتفت الى اشغال الحقول وادرت ظهرك الى الكتابة السماوية·
« فتأمل وافتكر بحالة الفلاح · فانه قبل ان يحصد تحمل الحشرات قسماً من القمح
« وتاكل الحيوانات ما بقي · وفي الحقول اسراب كثيرة من الجرد · والجراد يهجم بكثرة
« والماشية تاكل والعصافير تنهب · واذا ترك الفلاح شيئاً في الحقل فان اللصوص تسرقه
« وآلته تنثلم وتتحطم مع الوقت لانها من حديد · وجواده يموت وهو يجر المحراث · ثم ان
« الجباة يفدون من الميناء لجباية الضرائب ومعهم اناس يحملون عصياً وزنوج في ايديهم
« سعف النخل يتخذونها كسياط · فيقولون للفلاح (اعطنا قمحاً) وليس في استطاعته ان
« يردهم · فانهم يوثقون يديه ويرسلونه الى الترعة وهم يدفعونه امامهم بقوة · وكذلك يوثقون
« امراته على مرأى منه ويسلبون اولاده · اما جيرانه فانهم يكونون مشتغلين عنه باشغال
« الحصاد · هذه هي حالة الفلاح · اما عمل الكاتب الاديب فانه اسمى الاعمال ولا
« ضريبة عليه · فاعلم ذلك »

---

(١) وهذا الكتاب محفوظ الآن في متحف لندن



﴿كاتب وناسخ مصري قديم﴾

اكتشف تمثاله المسيو ماسبرو

فيظهر من هذا الكتاب ان حالة الفلاح المصري لم تكن في عهد الفراعنة افضل مما كانت قبل قيام المغفور له محمد علي باشا جد الاسرة الخديوية الكريمة . وان بين حالة الفلاح المصري في هذا الزمان و بين حالته في الازمنة الماضية ما بين الارض والسماء وكذلك يقال في مسألة الادب . فان الكتابة والآداب كانت معتبرة عند قدماء المصريين وغيرهم من الامم المتقدمة صناعة الهية وكان الاشوريون يعتقدون ان الآلهة هي التي علمت الناس الكتابة والقراءة . ولم يكن هذا الاعتقاد عن وهم ولكن عن شعور بشرف الكتابة واهميتها واذا رام القراء ان يعرفوا بالنظر الاديب والفلاح المصريين القديمين فلينظروا الى الفلاح المصري الحالي والى الاديب المصري في الرسم الذي في هذا الفصل . فان الفلاح المصري لم يتغير منذ القدم . قال بعض المؤرخين . ان الزوابع السياسية والاجتماعية التي عصفت في مصر قلبت فيها كل شيء ظهراً الى بطن وراساً على عقب الا الفلاح المصري صاحب مصر الحقيقي وعماد ثروتها . فان هذا الفلاح بقي ثابتاً في مكانه ولم يتغير عما كان فيه من

عهد الفراعنة · اي انه لا يزال لطيفاً هادئاً ينحني لكل الزوابع التي تمرّ فوق راسه ويخضع لكل الايدي التي تقبض على زمامه · وهو يحب ارضه كما يحب الولد امه ولذلك فهو يحرص عليها و يفتخر بامتلاكها كما انه يعير من لا يملك شيئاً منها · وهو مستجمع فضائل الامة المصرية وعليه يتوقف مستقبلها·

اما الاديب المصري القديم فقد كان متعدد الانواع فمنه الشعراء ومنه الكتاب ومنه النساخ · وكان للنساخ اهمية كبرى في ذلك الزمان لعدم وجود المطابع · وكثيراً ما عثروا في المدافن القديمة على آلات الكتابة المصرية ومعها محبرتا النساخ واحدة للحبر الاسود وواحدة للحبر الاحمر · وكانت الكتابة يومئذٍ على نوع من الورق كانوا يصنعونه من البابيروس واحياناً كانوا يضنون بالبابيروس لغلاء ثمنه ويكتبون على قطع خزفية او خشبية ما كان بلا اهمية كورقة دعوة او كتاب ودي وما اشبه

وقد نشرنا في هذا الفصل رسم تمثال اديب وناسخ مصري قديم اكتشفه المسيو ماسبرو منذ سنوات ليعرف ادباؤنا وجه رصفائهم من المتقدمين

اثر سوري

الزي السوري القديم · الزي الاناضولي · البنات الاناضوليات اقوى من الرجال
هل يجب ان نتحسر على الزمن القديم

كما اننا نشرنا للادباء في الفصل السابق رسم رصيف مصري قديم ننشر للسيدات في هذا الفصل رسم « جدة » لابسة الزي السوري القديم الذي لا تزال آثاره باقية الى هذه الايام ولا نعني بذلك انّ نساء سوريا ما زلن يلبسن هذا الزي الغريب الذي هو اشبه بازياء الروايات ولكننا نقول انه لا يزال في نساء سوريا بقية من ذلك الزمن القديم وهن يلبسن ذات الملابس التي يراها القراء في الرسم

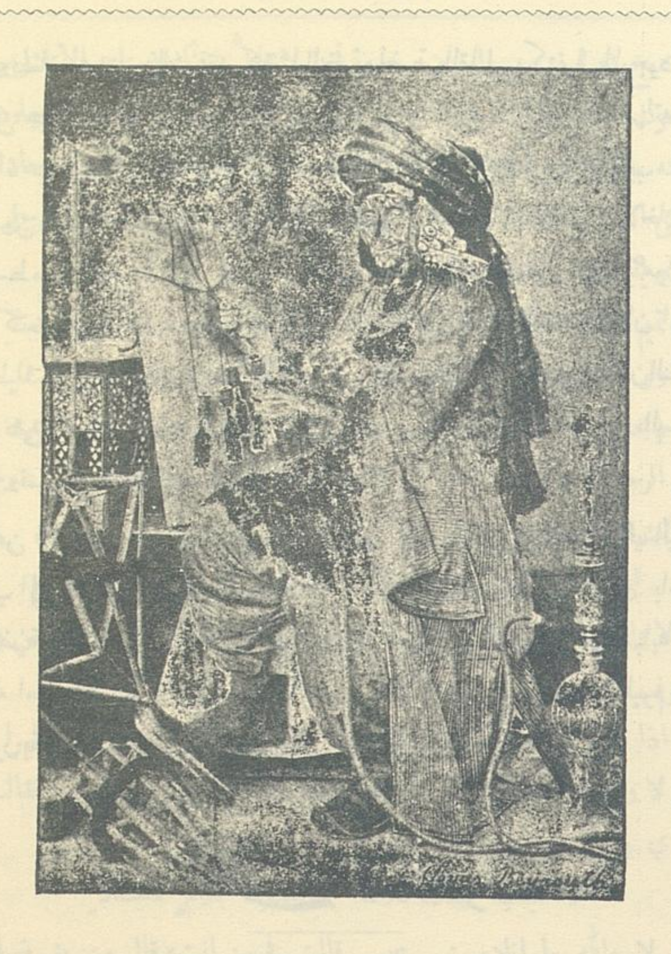
اما ازياء النساء السوريات اليوم فهي كازياء النساء الاوربيات والاميركيات لانها مقتبسة منها كما اقتبس ازواجهن ازياء ازواجهن

ولكنه لا يزال في جهات الاناضول كثيرات من النساء يلبسن ازياء اغرب من زي « الجدة السورية » التي نشرنا رسمها · فقد زرنا مدينة اضاليا في الاناضول منذ بضع سنوات فراينا نساء المسيحيين فيها متزوجات وغير متزوجات جميلات وغير جميلات يلبسن قفطاناً كقفاطين

الرجال وهو ذو اربعة اقسام قسمين يتدليان على جسم المرأة من وراء وقسمين يتدليان على جسمها من امام . و يلبسن فوق " القفطان " سترة صغيرة لا تتجاوز اثديتهن على مثال " الدامر " الذي يلبسه لابسو اللباس العربي في الشام . و يتمنطقن بزنار في وسطهن و يلبسن طربوشاً في رؤوسهن و يصففن عليه قطعاً من النقود الفضية او الذهبية و يجدلن ضفائر عديدة من شعرهن و يرخينها على ظهورهن كاذناب الحيات وفي اطرافها قطع من النقود ترنُّ وتطنُّ كلما خطت المراة خطوة . ولا ريب ان الذين اعتادت عيونهم ان ترتع في مناظر اللطف النسائي في مصر والشام والفت ابصارهم مشاهدة ملابس النساء الظريفة وثمار اذواقهن اللطيفة يستهجنون تلك الملابس الاناضولية كما يستهجن القاريء لباس الجدة السورية

ولكن اذا كان في ملابس بعض النساء الاناضوليات ما يدعو الى الاستهجان ففي اعمال بعض فتياتهن ما يدعو الى الاعجاب والاستحسان . فان بعض البنات الاناضوليات مسلمات ومسيحيات يعملن اعمال الرجال واشق منها . فانهن ينقلن قطع الخشب الضخمة على اكتافهن من مسافات بعيدة كانهن حيوانات للنقل . وهن يشتغلن بهذا العمل الشاق القبيح افواجاً افواجاً . وتجد الفتاة منهن حاملة على كتفها القوي قطعة الخشب الضخمة التي يتجاوز طولها اربعة امتار وهي ماشية تحت حملها بخطى ثابتة قوية والدم يكاد يفور من وجناتها فيخيل لك انك في منام اذا كنت غريباً عن البلاد . واذا كنتَ قد قرأت ما يقوله فلاسفة الافرنج من تحريم العمل على النساء الاوروبيات ولا سيما اذا كان شاقاً ولا يستلزم موهبة نسائية قلتَ في نفسك اين اولئك الفلاسفة ليقضوا العجب من هذا المنظر . ومع ذلك فان الفتيات الاناضوليات يكنَّ مبتسمات فرحات تحت احمالهن الثقيلة . وكثيراً ما يتراكضن و يتسابقن تحت تلك الاحمال الكريهة وهنَّ منشدات مقهقهات . ذلك لانهن يشتغلن ليحصلن « دوطة » لهن ومتى جمعن هذه الدوطة تركن العمل وتزوجن وعشن مستريحات . فبارك الله في هذه الهمة التي تدل على مبلغ ما في نفوس النساء الاناضوليات من العزيمة والنشاط

ولا ريب عندنا ان كثيرين من قرائنا في سوريا اذا وقعت انظارهم على رسم "الجدة السورية" يتنهدون من اعماق صدورهم . اما القارئات فانهن يتنهدن لانهنَّ يشكرن الله تعالى على انقاذهن من ذلك الزي المخيف : تلك العمامة التي هي كالغمامة . والمقص المعلق بها كعصفور على شجرة . والجزمة التي تثقل القدمين كقيد من حديد . ونول



﴿ امرأة سورية بالزي السوري القديم ﴾

الحياكة وملف الحرير الذي كان شغل المرأة الشاغل في ذلك الزمان . والنرجيلة الهائلة التي لا تأنف — واأسفاه — كثيرات من السوريات وغير السوريات من التدخين بها حتى اليوم . والقفطان الذي هو كثير الشبه بقفطان النساء الاناضوليات . هذا فضلاً عن عبوديتهن القديمة للرجال

واما القراء الذين يتنهدون لهذا الزي فانهم يتنهدون لانهم يذكرون زمناً قد مضى وهم يأسفون عليه . وسبب اسفهم عليه عدم رضائهم عن الزمن الحاضر . فان من كان يملك منهم في ذلك الزمن مائة جنيه كان كمن يملك ثلاثة الاف جنيه في هذه الايام . لان اردب القمح كان يُباع بعشرة غروش وكل حاجيات المعيشة كانت رخيصة الثمن على هذا

المنوال . وفضلاً عن ذلك فقد كانت النفس راضية بالقليل مكتفية بالموجود الحاضر . وكان الرجل سيداً مطلقاً في البيت واقرب شيء الى يده العصا لتاديب امراته . وكانت هذه المراة عبدة حقيقية لا تخرج الا محجبة ولا تجالس رجلاً ولا تخاطب احداً غير زوجها الا من وراء حجاب كاخواتهن المسلمات اليوم . غير ان العادات والاخلاق كانت الطف وابسط منها اليوم كما يزعم الشيوخ الذين شهدوا تلك الايام . وهم يزعمون ايضاً ان الامراض كانت اقل واخف وطأة . ولكن هذا الزعم والذي تقدمه يحتاجان الى اثبات . ويردُّ الاطباء على الزعم الثاني بقولهم ان الامراض كانت مجهولة لا معدومة وكان الناس يسمون كل مرض حمى فلما انتشر الاطباء وسموا الامراض باسمائها الحقيقية ظن البسطاء انها تعددت . وقس على ذلك باقي شؤون الحياة .

اما نحن فلا نجهل ان المعيشة في ذلك الزمان كانت اسهل وابسط مما هي اليوم والناس كانوا اقرب الى الاخاء البشري والبساطة الطبيعية ولكننا نعتقد ان الذين ياسفون على الايام الماضية انما ياسفون اسف الشيخ الذي يتحسر في شيخوخته على شبابه وان كان في شيخوخته اهنأ بالاً مما كان في شبابه واحسن حالاً . فمن يتحسر اليوم على زمن الجدة السورية فليتحسر عليه ولكن دون ان يتمنى الرجوع اليه .

صفحة الشعر

﴿ قوة نساء العرب وسرعة جوابهن ﴾

يعزُّ على الكاتب اليوم اذا رام تفكهة قرائه بشيء من الشعر ان يرى نفسه مضطراً للرجوع الى ما جاء في الكتب القديمة . وليس يعزُّ عليه ذلك لان ماجاء في هذه الكتب مهمل لا يستحق النشر ولكن لانه لا ينطبق على شؤون العصر وحاجاته ولذلك فهو قلما يكون ذا تاثير في نفس القارئ . غير ان الرواية الشعرية التي نرويها الآن نقلاً عن المسعودي جديرة بان تلذَّ القراء فضلاً عن دلالتها على ما كان للنساء في ذلك الزمان من المكانة من البلاغة وسرعة الجواب . وهذه خلاصتها . قال يزيد الرقاشي

سمرتُ ذات ليلة عند السفاح (وهو ابو العباس عبدالله بن محمد اول الخلفاء العباسيين) فقال يا يزيد اخبرني باظرف ما سمعته من الاحاديث فقلت : يا امير المؤمنين . نزلت

رجل من تنوخ بحيٍّ من بني عامر بن صعصعة فجعل لا يحطُّ شيئًا من متاعه الا تمثل بهذا البيت

لعمرك ما تبلى سرائر عامرٍ من اللؤم ما دامت عليها جلودها

فسمعته جارية من الحيّ فاغاظها هذا الهجاء لقومها فخرجت الى الرجل وحادثته وآنسته وسألته حتى انس بها فقالت له · من اي قوم انت مُتعت بك · فأجاب الرجل من "تميم" فقالت الجارية اتعرف الذي يقول

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلَّتِ

ولو ان برغوثًا على ظهر قملةٍ يكرُّ على جمعي تميمٍ لولتِ

ذبحنا فسمينا فتمَّ ذبيحنا وما ذبحت يومًا تميم فسمت

فقال الرجل لا والله ما انا من تميم قالت فممن انت جُعلتُ فداك قال : رجل من عجل · فقالت اتعرف الذي يقول

اذا مات عجليٌّ بارضٍ فانما يُشقُّ له منها ذراع واصبع

قال لا والله ما انا من عجل · قالت فممن انتَ قل الحق · قال : رجل من بني يشكر · فقالت اتعرف الذي يقول

اذا يشكريٌّ مسَّ ثوبك ثوبه فلا تذكرنَّ الله حتى تطهرا

فقال لا والله ما انا من يشكر قالت فممن انت اذًا قال من عبس · فقالت الجارية اتعرف الذي يقول

اذا عبسية ولدت غلامًا فبشرها بلؤمٍ مستفادِ

فقال لا والله ما انا من عبس قالت فممن انت قال من بني ضبة · فقالت اتعرف القائل

لقد زرقتْ عيناك يا ابن معكبرٍ كما كل ضبيٍّ من اللوم ازرق

فقال الرجل اعوذ بالله · لا والله ما انا من بني ضبة · فقالت فممن انت ويحك اما تستحي قل الحق · فقال انا من خزاعة فقالت اتعرف الذي يقول

اذا افتخرت خزاعة في كريم وجدنا فخرها شرب الخمور

وباعت كعبة الرحمن جهرًا بزقٍ بئس مفتخر الفخور

فقال لا والله لست من خزاعة · فقالت فممن انت قال من لقيط · فقالت اتعرف الذي يقول

لقيط شرُّ من ركب المطايا واندل من يدبّ على البسيط

فقال لا والله لست من لقيط ولكن من خثعم · فقالت اتعرف الذي يقول

وخثعم لو صفرت بها صفيرًا لطارت في البلاد مع الجرادِ

فقال الرجل لا لا بل انا من طي · فقالت اتعرف الذي يقول

ولو ان حرقوصاً يمدُّ جناحه على جبلي طيٍ اذا لا ستظلتِ

فقال لا والله ما انا من طي · فقالت فممن انت ويلك اما تستحي اكثرت من الكذب فقال انا رجل من تنوخ وهو الحق · قالت اتعرف الذي يقول

اذا تنوخ قطعت منهلاً في طلب الغارات والثار

آبت بخزي من اله العلى وشهرة في الاهل والجار

فقال لا والله لست منهم · قالت فممن انت · قال من بني حمير فقالت اتعرف الذي يقول

نبئت حمير تهجوني فقلت لهم ما كنت احسبهم كانوا ولا خلقوا

لا يكثرون وان طالت حياتهمُ ولو يبول عليهم ثعلب غرقوا

فقال لا والله لست منهم · قالت فممن انت قال من بني امية · فقالت اتعرف الذي يقول

وهي من امية بنيانها فهان على الله فقدانها

وكانت امية فيما مضى جرئ على الله سلطانها

فلا آل حرب اطاعوا الرسو ل ولم يتق الله مروانها

فقال الرجل لا والله ما انا منهم ولكن من ولد الشيطان الرجيم · قالت فلعنك الله ولعن اباك الشيطان معك افتعرف الذي يقول

الا ياعباد الله هذا عدوكم وهذا عدوّ الله ابليس فاقتلوا

فصاح الرجل : هذا مقام العائذ بك · قالت قم يارجل خاسئاً مذموماً واذا نزلتَ بقوم فلا تنشد فيهم شعرًا حتي تعرف من هم ولا تتعرض للمباحث عن مساوئ الناس فلكل قوم اساءة واحسان · وانت كما قال جرير للفرزدق

وكنتَ اذا حللتَ بدار قوم رحلتَ بخزية وتركت عارا

فقال لها الرجل والله لا انشدُ بيت شعر ابدًا · — فقال السفاح لئن كنتَ قلت هذا الخبر ونظمتَ فيمن ذكرتَ هذه الاشعار فلقد احسنتَ وانت سيد الكاذبين · وان كان الخبر صدقاً وكنت فيما ذكرته محقاً فان هذه الجارية العامرية لمن احضر الناس جوابًا وابصرهم بمثالب الناس

باب التربية والتعليم

يكون الرجال كما يريد النساء
فاذا اردتم ان يكونوا عظماء وفضلاء
فعلموا النساء ما هي العظمة والفضيلة

ليست وظيفة المدرسة مقصورة على
تعليم العلوم فقط فان بث الفضيلة
والاقدام من اخص وظائف المدرسة

المدارس وانواعها

(لا ريب ان في العالم مدارس غير المدارس والادبية)

اذا قيل عندنا « انشئوا المدارس لان بها حياة الامة » علم السامعون ان الداعي الى هذا الامر يقصد بقوله هذا استئجار او انشاء بناء كبير واستدعاء بضعة من المعلمين العارفين بالصرف والنحو والقراءة والحساب واحياناً الشعر ليجتمع اليهم و يلتف عليهم عشرات او مئات من التلامذة و يقيموا تحت ادارتهم اعواماً طوالاً قد تمرّ بلا فائدة . ولكن اذا صاح صائح في اوربا انشئوا المدارس وقف سامعوه يسخرون منه و يسالونه : اي نوع من المدارس تريد . المدارس الابتدائية ام الثانوية ام النهائية . وهل تريدها علمية . ام ادبية . ام صناعية . ام زراعية . ام تجارية . ام حربية . ام بحرية : والصناعية ماذا تريدها هل لتعدين المعادن . ام لانشاء المعامل . ام للصنائع التي تُصنع باليد . ام غيرها

ذلك لان كل فرع من فروع الحياة الاجتماعية تقريباً صار في بلاد المتمدنين خاصاً بمدرسة تلقن الطلبة اصوله . والسباق الآن في اتقان هذه المدارس قائم بين جميع الامم على ساق وقدم لان تحسين شؤون المدارس فيها بمثابة تحسين امورها الرئيسة وشؤونها الحيوية وقد تحققت كل امة من تلك الامم ان المستقبل للامة التي تكون لها ارقى المدارس وافضلها . فالتي تكون لها ارقى المدارس التجارية تتغلب على مزاحماتها في التجارة والتي يكون لها ارقى المدارس الصناعية تفوز على مناظراتها في الصناعة . وهكذا قل في الزراعة والحرب والبحرية وسائر شؤون الحياة الاجتماعية

ولقد قدمنا هذه المقدمة في هذا الفصل لنبسط امام القراء انواع المدارس التي تعنى بها الامم المتمدنة واخترنا فرنسا من بين تلك الامم وسنلتزم الايجاز بقدر الامكان

⁂

في فرنسا سبع وزارات تتبعها المدارس الخاصة بها فالاولى وزارة المعارف وتتبعها المدارس الابتدائية والادبية والعلمية والفنية · والثانية وزارة التجارة وتتبعها المدارس التجارية والصناعية · والثالثة وزارة الزراعة وتتبعها المدارس الزراعية · والرابعة وزارة الداخلية وتتبعها مدارس العميان والصم · والخامسة وزارة الحربية وتتبعها المدارس الحربية · والسادسة وزارة البحرية وتتبعها المدارس البحرية · والسابعة وزارة الاشغال العمومية وتتبعها مدارس المعادن وانشاء الطرق والجسور (الكباري) · بقي قسم ثامن يسمونه القسم الحر ·

وزارة المعارف — اما المدارس التابعة لوزارة المعارف فهي اقسام · القسم الاول المدارس التي تقوم مقام الامهات والغرض من انشائها حفظ الاطفال الذين لا تقل اعمارهم عن سنتين ولا تزيد عن سبع وترويض افكارهم الصغيرة برسوم والعاب وشيء من القراءة والكتابة ليكون تمهيداً للتعليم الابتدائي · واكثر الامهات اللواتي تشتغلن خارج منازلهن يضعن اولادهن في هذه المدارس · وكانت هذه المدارس تُدعى قبلاً ملاجيء الاولاد · ومما يؤلم ذكره ان الحكومة في مصر والشام لم تفتكر بعدُ بهذا النوع من المدارس لتحضن به الاولاد المتشردين الذين يملأُون الاسواق والشوارع والذين يرقدون بعضهم على بعض غلماناً وفتيات حتى في ليالي الشتاء في منعطفات المنشية وزواياها مع كلاب الازقة · كأنهم وا اسفاه طبقة خارجة عن طبقات البشر لا يجوز لها ان تتنعم بشيء من الدفاء في الليالي الباردة

والقسم الثاني المدارس الابتدائية المنشأة في كل مدينة وكل قرية في فرنسا وفيها التعليم مجاني الزامي ومن لا يرسل ولده لتعليمه فالحكومة تغرمه عقاباً له

والقسم الثالث مدارس ابتدائية يضاف اليها تعليم شيء من مبادىء الزراعة والصناعة والتجارة ويكون التعليم فيها عملياً

والقسم الرابع مدارس ابتدائية لاعداد معلمين ومعلمات للتعليم في المدارس الابتدائية والثانوية ·

والقسم الخامس المدارس العلمية والادبية · والقسم السادس المدارس الطبية والمدارس الاعدادية الطبية · والقسم السابع المدارس لتعليم الصيدلية · والقسم الثامن المدارس لتعليم الحقوق وعددها يربي على ١٣ مدرسة · والقسم التاسع مدرسة لقراءة

الآثار القديمة ·

والقسم العاشر مدرسة للغات الشرقية الحية وقد انشأت هذه المدرسة في عام ١٧٩٥ ووظيفتها اعداد قناصل وتراجمة للسفارات والقنصليات في الشرق البعيد والقريب

والقسم الحادي عشر مدرسة قرب السوربون للتمرن والمذاكرة في الدروس العليا والقسم الثاني عشر مدرسة اللوفر وهي للآثار القديمة والتمدن القديم والقسم الثالث عشر مدارس للفنون الجميلة مثل النقش والتصوير والرسم وغيرها للفتيان والفتيات · والقسم الرابع عشر مدرسة فرنسوية في اثينا لدرس الاثار اليونانية · والقسم الخامس عشر مدرسة فرنسوية في رومه لدرس الاثار الرومانية ومدرسة اخرى في رومه ايضاً

وزارة التجارة — هذه هي المدارس التابعة لوزارة المعارف · اما وزارة التجارة فتتبعها مدرسة للصنائع والنسج في باريز ومدارس اخرى للصنائع والحرف في اكس وانجر وشالون ومدرستان كبيرتان للدروس التجارية العليا في باريز وثلاث مدارس لصنع الساعات في بزانسون وكلوز وباريز ومدرسة في كلوني لاعداد عملة ورؤساء عملة ومدرسة للتلغراف

وزارة الزراعة — اما وزارة الزراعة فتتبعها مدرسة عليا للزراعة في باريز ومدارس صغرى للزراعة في كرينيون وغران جوان ومونبليه ومدارس للزراعة العملية اي ان الطلبة يدرسون فيها الزراعة علماً وعملاً في البساتين والحقول ومدرسة في ننسي لتربية الاحراش والعناية بها ومدارس للبيطرية في الفورت وليون وتولوز

وزارة الداخلية — اما وزارة الداخلية فتتبعها مدارس الصم البكم التي تعتني بتلامذتها اعتناء علمياً وصحياً وتعلمهم صنائع يقدرون بها على كسب الرزق · ومدارس للعميان تعلمهم ايضاً الصنائع والحرف باصطلاحات مصطلح عليها فيعمل الاعمى بيديه كأنه من المبصرين وهذا منتهى الحنان والعناية من الهيئة الحاكمة

وزارة الحربية — وتتبع وزارة الحربية مدرسة البوليتكنيك في باريز ومنها يخرج مهندسون لمعامل الحكومة ومعادنها واشغالها العمومية والبحرية والجندية · ومدرستان للمدفعية والهندسة ومدرسة للبارود ومدرسة سان سير الخصوصية التي يخرج منها التلامذة برتبة ملازم ومدرسة ضباط المشاة ومدرسة الصحة العمومية العسكرية ومدرسة الطب والصيدلية العسكرية ومدرسة تعلم الادارة العسكرية ومدرسة اعدادية عسكرية

وزارة البحرية — وتتبعها مدرسة اطفال البحرية وقد انشأت في بريست لايتام

الجند ومدرسة المبتدئين وهي قائمة على ظهر السفينة اوسترايتز في ميناء برست وتلامذتها من تلامذة المدرسة السابقة . ومدارس بحرية للطب والصيدلية ومدرسة للهندسة البحرية ومدرسة استعمارية ومدارس لمهندسي آلات السفن البخارية

وزارة الاشغال العمومية — تتبعها مدرسة لانشاء الجسور والطرق واخرى للمعادن ومنها يخرج مهندسو المناجم ومدرستان للعملة المعدنين ورؤساء العملة

هذه هي انواع المدارس عند الامم المتمدنة اما نحن فليس لدينا منها غير المدارس الادبية . ولا ننكر ان الحكومة السنية قد انشات في الاستانة بعض مدارس الفنون والصناعة ولكن خلو الولايات من مدارس حقيقية للصناعة والزراعة والتجارة يجيز لنا ان نقول بانه ليس لدينا شيء منها.

باب تدبير الصحة

﴿ مؤتمر السل فى لندن ﴾

اعظم الاعمال الطبية في هذا العام انعقاد مؤتمر السل في لندن تحت رعاية جلالة الملك ادوار السابع الذي بعث بتلغراف الى رئيس المؤتمر يسأله فيه ابلاغ شكره للعلماء الاعلام الذين اجتمعوا في بلاده لمحاربة آفة الانسانية . وقد خطب كثيرون من الخطباء بشأن هذا الداء اشهرهم الدكتور كوخ الالماني والدكتور برواردل الفرنسوي . فارتأى كوخ ان داء السل لا ينتقل الا بواسطة بصاق المصابين وانه لا صحة لانتقاله بواسطة لبن الحيوانات المصابة به . فانكر رصفاؤه الاطباء هذا القول لانهم تحققوا انتقاله من الحيوان للانسان . وقال الدكتور برواردل ان خمس بني الانسان بل ربعهم يموتون بالسل وان وفياته قد نقصت في انكلترا ٤٠ في المائة لتحسين المنازل فيها من حيث ازالة الرطوبة منها وادخال النور والهواء اليها . ثم قال يجب مراقبة اللحم واللبن جيداً كما صنعت حكومة بلجيكا ومنع البصق في الشوارع كما صنعت حكومة اميركا . ثم روى ان غنياً من اصحاب الملايين في اميركا بصق في احد الشوارع فغرم فاعاد البصق فزج بالسجن عقاباً له . وقد سأل الدول ان تُجمع على تطهير المركبات البرية والبحرية بالمواد التي تقتل الميكروب وان

لا تذخر الحكومات وسعاً في محاربة هذه الآفة التي تتهدد الانسانية
وقد خطب في المؤتمر كثيرون من الخطباء ايضاً . ولما تمت اعمال المؤتمر التي سنعود اليها في بعض الاجزاء القادمة قرر وجوب ان تمنع الحكومات الناس من البصق في الاماكن العمومية كالمركبات والسفن والقهاوي وغيرها وانشاء لجنة خصوصية تكون وظيفتها مقصورة على تنبيه الناس ونشر كل ما يهم الاطلاع عليه بشان هذا الداء . ثم ختم المؤتمر جلساته .

﴿ صحة البوكسر في الصين ﴾

عاد الدكتور ماتينيون من الصين وكان طبيب السفارة الفرنسوية فيها فقال ان الصينيين قوم شديدو الانفعال وان التأثر يبلغ منهم احياناً مبلغ الجنون فيحملهم على الانتحار . وان البوكسر يشبهون الناس المصابين بالهستيريا من شدة تاثرهم . فكان يجب على اوروبا ان ترسل اليهم جيشاً من الاطباء لمداواتهم لا جيوشاً من الجنود لقتلهم

﴿ سبب طنين الاذنين ﴾

اذا كنتَ جالساً واخذتْ اذنك (تطنُّ) بغتة فان العامة تفسر ذلك بان رجلاً يتكلم عنك في غيابك . ولكن قد يزداد هذا الطنين فتشعر بغتة بان اذنك قد سُدت ولم تعد قادرًا على السمع بها فتذهب خائفاً الى طبيبك فيحقن الطبيب اذنك بماء فاتر فيعود السمع الى اذنك . فما سبب ذلك . سببه ان اقذار الاذن الصفراء تتجمع وتسقط في تجويف الاذن والماء الفاتر يطردها . فعليك اذاً بازالة هذه الاقذار في كل صباح ومساء قبل سقوطها الى الداخل

﴿ انبذوا المناديل انبذوا المناديل ﴾

يصلي اليوم بعض الاطباء في اوربا مناديل الجيوب حرباً عواناً . فانهم يقولون ان هذه المناديل من اشد العوامل في نشر الامراض . وهم ينصحون الناس باستبدالها بمناديل من ورق على الطريقة اليابانية حتى اذا صار المنديل قذرًا احرق واعدم فتموت الجراثيم التي تكون قد علقت به . قال بعض هولاء الاطباء . ولا اعرف رجلاً ابرد من ذلك الرجل الذي يتناول منديله من جيبه ثم يضعه على انفك ليجعلك تشم رائحته الطيبة وهو يفخر بذلك . فانه قد ينقل اليك من المنديل اقبح الجراثيم وانت لا تدري . ولكن قد

يوجد رجل ابرد من هذا الرجل وهو الذي يتناول منديله من جيبه امام الحاضرين ثم يضعه على انفه ويأخذ بنشيد موسيقي انفي تشمئز منه نفوس الحاضرين ثم يمد اصبعه بالمنديل الى انفه وينظفه مما فيه من الميكروبات التي تكون قد علقت به من غبار الطرق وبعد ذلك يمسح انفه وينفض المنديل في الهواء امام وجوه الحاضرين فكأنه نفض الجراثيم في وجوههم

باب التقريظ والانتقاد

﴿ المرأة المسلمة ﴾ هو كتاب لمؤلفه حضرة محمد افندي فريد وجدي ردَّ فيه على كتابي عزتلو قاسم بك امين . وقد قال في مقدمته « ان الحجاب ضروري للمرأة ليس لعدم الثقة بها ولكن لكونه الضمانة الوحيدة لاستقلالها وحريتها بشهادة التاريخ وان المدنية الاسلامية هي الشكل الوحيد من كمال الاجتماع البشري الذي يتقرب منه البشر يوماً بعد يوم وانه لا توجد امة في هذا العصر يجوز اتخاذ نظامها في تربية البنات منوالاً ننسج عليه » .

والكتاب غاص باقوال الحكماء والفلاسفة والكتاب الذين يحرمون على المرأة ان تعمل اعمال الرجال مما يدلُّ على براعة مؤلفه وسعة اطلاعه فنشكر له هديته .

﴿ علم الفراسة الحديث والهلال والجامعة ﴾ اهدت الينا ادارة مجلة الهلال كتاب « علم الفراسة الحديث » الذي نشره حضرة الفاضل صاحب الهلال ملحقاً بالسنة التاسعة من مجلته عوضاً عن الاعداد الاربعة الباقية من سنة الهلال . وقد سرتنا هذه الهدية لانها دلت على اعادة الهلال صلاته مع الجامعة بعد قطعه اياها منذ شهور وتحرشه بالجامعة في اكثر اجزائه تحرشاً مستتراً ما كنا ننتظر مثله من فاضل وصديق كصاحب الهلال يعرف قيمة العلم والادب ولا يجهل من نفسه ومن مجلته مبلغ العناء الذي يقاسيه الكتاب واصحاب المجلات . ولو كان هذا التحرش على سبيل المناظرة لدخلنا مع الهلال فيها فان في ذلك فائدة لقراء المجلتين ولكنه اعتداء وتلميح وتلويح نخاف ان نشير اليه فيضحك منه القراء . وهذا الذي جعلنا نترك ما جاء عن الهلال في صدر الرسالة التي نشرتها الجامعة في الجزء الماضي بعنوان « ربع قرن في الصحافة » دون حذفه . فقد قصدنا به ان نُري رصيفنا الهلال ان

للجامعة اظفاراً تحسن الدفاع بها عن نفسها · و يسرنا ان ذلك قد اقنع صديقنا فعسى ان يدوم هذا الاقتناع لنتعاون على خدمة الجمهور والقراء بصرف النظر عما وراء ذلك من الهنات هذا بيان صريح بسطناه لاننا نكره التلميح والتلويح · اما كتاب علم الفراسة الذى نحن في صدده فاننا لا نبدي راينا فيه لئلا يسوء صديقنا الهلال غير اننا نثني كل الثناء على فضله وصبره لان آثار التعب والتنقيب ظاهرة في هذا الكتاب

﴿ المرأة ﴾ المراة مجلة نسائية علمية فكاهية لمنشئتها حضرة السيدة انيسه عطا الله وقد قالت في مقدمتها « لما كان التقدم من موجبات العمران وكانت المراة احد اركان التقدم لانها المربية الغيورة والرفيقة الامينة وكانت الجرائد ترجمان الافكار فقد وجب ان يكون للمراة صحف خاصة بها » فنحن نرجو للمراة الثبات والانتشار انما نؤاخذها بانها اخذت عن الجامعة فلسفة تولستوي واخلافه دون ان تشير الى المصدر الذي اخذت عنه

﴿ جمعية القديس جاورجيوس بيافا ﴾ وردتنا ميزانية جمعية القديس جاورجيوس الارثوذكسية بيافا لسنتها الخامسة وقد بلغ ايراد الجمعية في تلك السنة ٧٣ الف غرش ونفقاتها ٢٣ الفاً فالباقي في صندوقها ٥٠ الفاً · جزى الله رئيسها الفاضل واعضاءها الكرام خير جزاء على هذه النتيجة الناطقة بفضلهم وهمتهم · ومما تسر الاشارة اليه ان كثيرات من السيدات الكريمات في يافا قد اشتركن في مساعدة هذه الجمعية بشغل الاشغال اليدوية لها وقد عددنا منهن ٩٥ سيدة في جملتهن خمس من كرائم الاسكندرية وهن حضرات المصونات مدام جورج كرم ومدام امين كرم ومدام ديمتري خلاط ومدام ديمتري طاسو ومدام الياس دباس · فكأن جمعية القديس جاورجيوس في يافا ارشدت باقي الجمعيات الى امر جديد وهو عدم الاقتصار على الرجال في طلب المساعدة فان السيدات ابيض يداً وارق قلباً واكثر تلبية

﴿ الزواج السري ﴾ اهدانا حضرة الاديب انطون افندي انسطاس زريق في نيويورك رواية ادبية فكاهية عربها تحت عنوان « الزواج السري » وهي باكورة قلمه وقد طبعت في مطبعة رصيفتنا الايام في نيويورك طبعاً حسناً على ورق جيد

﴿ الصاعقة ﴾ هي جريدة انتقادية سياسية ادبية تصدر في بونس ايرس مرة في الاسبوع لصاحبها جناب الخوري يوحنا سعيد المارونى اللبناني فنرجو لها الانتشار وتخفيف اللهجة

باب الاخبار العلميّة

﴿ شجرة بوذه اقدم شجرة في العالم ﴾ عاد المسيو جول لكارك من الهند وقد شاهد فيها الشجرة التي وجد بوذه الروح تحتها وهي الآن اقدم شجرة في العالم . وقد غُرست في عام ٢٨٨ قبل الميلاد المسيحي . ولما زارها اهدى اليه احد الكهنة البوذيين ورقة منها في مقابل ريال هندي دفعه اليه . وقد كتب المسيو لكارك الى اكادمية بلجيكا يصف هذه الشجرة والورقة التي اخذها منها .

﴿ النوم يكفي الناس شر المجاعة في روسيا ﴾ نشر المسيو نزاركي احد اساتذه كليه براغ مقالات في جريدة « نايزي دو به » قال فيها ان الفلاحين الروس في بعض الولايات الروسية يكتفون شر المجاعات بالنوم . وذلك ان الفلاح منهم اذا افتقد حاصلاته ووجد انها لا تكفيه طول السنة جمع عيلته ووزع فيهم شيئًا من الطعام ثم امرهم بفرش الفرش والنوم فيفرشون وينامون جميعًا . وقد يصنع صنعهم جميع سكان القرية لتوفير القوت فينامون جميعًا حتى يسود في القرية سكوت عميق كانها في ليل دائم . ولما ترى الحيوانات اسيادها قد عكفوا على النوم تصنع صنعهم ايضًا . ولا ينتبه هؤلاء الفلاحون ولا ينهضون الا لا كل قطعة من الخبز تكون قريبة منهم وهكذا يقطعون ايام الشتاء ولياليه فلا يكون للمجاعة تاثير شديد فيهم .

﴿ النجم المذنب والبوير ﴾ شكت جريده التيمس من ان الجنرال دي ويت كذب على رجاله وغشهم حين ظهور النجم المذنب في افريقيا . فانه لما ظهر هذا النجم استغرب البوير ظهوره فقال لهم دي ويت « تذكرون ان نجمًا كهذا النجم ظهر في عام ١٨٨١ ولكنه كان ذا لون احمر دلالة على قرب حدوث حرب عظيمة وقد حدثت هذه الحرب كما ترون . اما النجم الذي ظهر اليوم فانه ابيض اللون دلالة على قرب حصولكم على صلح شريف فاثبتوا ولا تياسوا »

﴿ قرنفلة ثمنها خمسة آلاف ريال ﴾ قالت مجلة « البستان » ان زارعًا اميركيًا في سنسيناتي في الولايات المتحدة مشهورًا بتربية الازهار باع من احد اصحاب الملايين قسيلة

قرنفل بخمسة الاف دولار وقد سأل المشتري كثيرون ان يبيعهم فسيلة منها حين نموها فاجابهم انه سيربيها لتبقى عنده لا ليبيع منها ٠ على ان هذه القرنفلة لو كانت تخرج قرنفلاً او راقه من الذهب لما كانت تسوى هذه القيمة

﴿ كارنيجي وانكلترا ﴾ كتب الغني كارنيجي المشهور فصلاً في مجلة ننتش سانتري قال فيه ان انكلترا ستفقد مركزها في العالم اذا لم تتدارك امرها ٠ فان المانيا ستسبقها في حلبة التجارة والصناعة لان مصنوعاتها من الحديد بلغت ٧ ملايين طن بعد ان كانت مليون طن ونصفاً اما مصنوعات انكلترا فانها بقيت ٩ ملايين طن كما كانت ٠ واما اميركا فقد سبقتها لان مصنوعاتها من الحديد بلغت ١٠ ملايين طن و٦٣٨ الفاً ٠ وقد صارت بورصة نيو يورك اهم من بورصة لندن ٠ ثم قال كارنيجي انه لا يُرجى خلاص انكلترا الا متى عدلت عما يجول في نفسها من احتكار اسواق العالم وانصرفت الى اسواق معدودة تتجر فيها وخففت نفقاتها العمومية فان الشخص الواحد في انكلترا يصيبه من تلك النفقات ٧٥ فرنكاً في حين ان الشخص الواحد لا يصيبه في اميركا سوى ٢٥ فرنكاً وفي المانيا سوى ٣٥ فرنكاً

﴿ ببغاء مفردة بين الببغاء ﴾ كان اهم معروضات لندن في الشهر الماضي ببغاء كانها فونوغراف حي ٠ فانها تعيد بسولة وسرعة كل ما تلقيه عليها من الكلام من غير ان تحتاج الى تكراره وهي تتكلم ١٤ لغة وتعرف في كل واحدة منها الوفاً من الكلمات واذا خاطبتها بلغة منها تجيبك بهذه اللغة نفسها دون سواها ٠ على انها تتأنى كثيراً في كلامها

سنة الجامعة الثالثة

﴿ وزيادة بدل الاشتراك ﴾

هذا هو العدد الاول من سنة الجامعة الثالثة ٠ وفيه يرى القراء ان الجامعة دخلت في دور الشباب فانها قد زادت ابوابها وحسنت طبعها وورقها تحسيناً مهماً وزادت صورها حتى صار عددها في هذا الجزء ١٤ رسماً كبيراً واهدت الى مشتركيها في السنة الحاضرة كتاباً مفيداً ٠ فلا ريب عندنا ان القراء يطلبون من تلقاء انفسهم بعد هذا التحسين زيادة بدل الاشتراك لانهم يستغربون ان يكون بدل اشتراك مجلة كهذه المجلة ٤٠ غرشاً

في داخل القطر و١٣ فرنكاً في الخارج لما في ذلك من الشذوذ عن باقي رصيفاتها من المجلات . ولذلك جعلنا بدل الاشتراك في هذه السنة ٥٠ غرشاً مصرياً في داخل القطر و١٥ فرنكاً في الخارج اي اننا زدنا عشرة غروش فقط على بدل الاشتراك وهي قيمة لا تساوي ثمن الكتاب الذي اهديناه الى حضرات القراء . ومع ذلك فان الجامعة تبقى ارخص المجلات العربية

اما الدفع فقد قررنا نهائياً ان يكون « سلفاً » لجميع القراء . وبناء عليه فان المجلة لا ترسل الى من يطلبها الا اذا كان طلبه مصحوباً ببدل الاشتراك فقد كفى ادارة المجله ما عانته مع بعضهم

كتب الينا حضرات العالمين الفاضلين الدكتور يعقوب صروف والدكتور فارس نمر منشيء مجلة المقتطف وصاحبا المقطم يشكران الجامعة على ما نشرته في الجزء الماضي بشأن المقتطف وانقضاء ربع قرن عليه في عالم الصحافة مع ان الجامعة قامت بواجب عليها لا تستحق عليه شكراً . ولكن حضراتهم قالوا في الكتاب بعد المقدمة « وقد جاء في المقالة اننا كتبنا الى بعض اصحابنا اننا بالمقطم اخرسنا المؤيد واغرقنا النيل وهدمنا الاهرام . فاننا لانتذكر اننا كتبنا بمثل ذلك الى احد ولا خطر لنا في وقت من الاوقات ان نباهي بمثله ولم ننشيء المقطم لغرض مثل هذا ولا كان المؤيد ولا النيل في حيز الوجود لما انشأناه . وغرضنا السياسي من المقطم معلوم ظاهر في كل صفحة من صفحاته وهو ان نؤيد السياسة التي لولاها ما كان في الشرق بلد يستطيع من كان مثلكم ومثلنا ان يعيش فيه ويجاهر بآرائه واقواله . فان كانت خدمة العلم واجبة لتنوير الاذهان والارشاد الى استدرار خيرات الارض فخدمة الحرية التي بدونها لا يكون الانسان انساناً اوجب والزم وهذه الخدمة نتوخاها في المقطم كما نتوخى خدمة العلم في المقتطف ونحن ادرى الناس بقصورنا في الخدمتين ولو كنا نسعى اليهما جهدنا وحبذا لو ارشدتمونا الى اسم صاحب المقالة حتى نسديه شكرنا ونثبت له ان ملاحظاته لا تسوءنا ولا زلتم في المقام الاعلى بين ناشري المعارف »

نقول وقد نشرنا هذا الكلام كتكذيب قاطع للخبر الذي رواه مراسل الجامعة في تلك المقالة

﴿ ادارة الجامعة ﴾ انتقلت ادارة الجامعة الى ملك دائرة طوسن باشا امام الزاراني مقابل الالمبرا